معجزات نبوية نلمسها من

لمحات مضيئة على أحاديث إيقاف تأبير (تلقيح) النخيل

" والذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حقّ "

حديث شريف

د. عبدالبديع حمزه زللي

١٤١٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية .

زللي ، عبدالبديع حمزة عبدالله

معجزات نبوية نلمسها من لمحات مضيئة على أحاديث إيقاف تأبير (تلقيح) النخيل .

المدينة المنورة

١١٧ صفحة ؛ ١٧*٢٤ سم .

ردمك ، ٤ - ٢٨٢ - ٣٤ - ٩٩٦٠

١- السيرة النبوية   ٢- النخيل - زراعة   ٣- تلقيح النبات

أ- العنوان

ديوي ٣٤٣   ١٨ / ١٤٦٦

رقم الإيداع : ١٤٦٦ / ١٨

ردمك : ٤-٢٨٢-٣٤-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

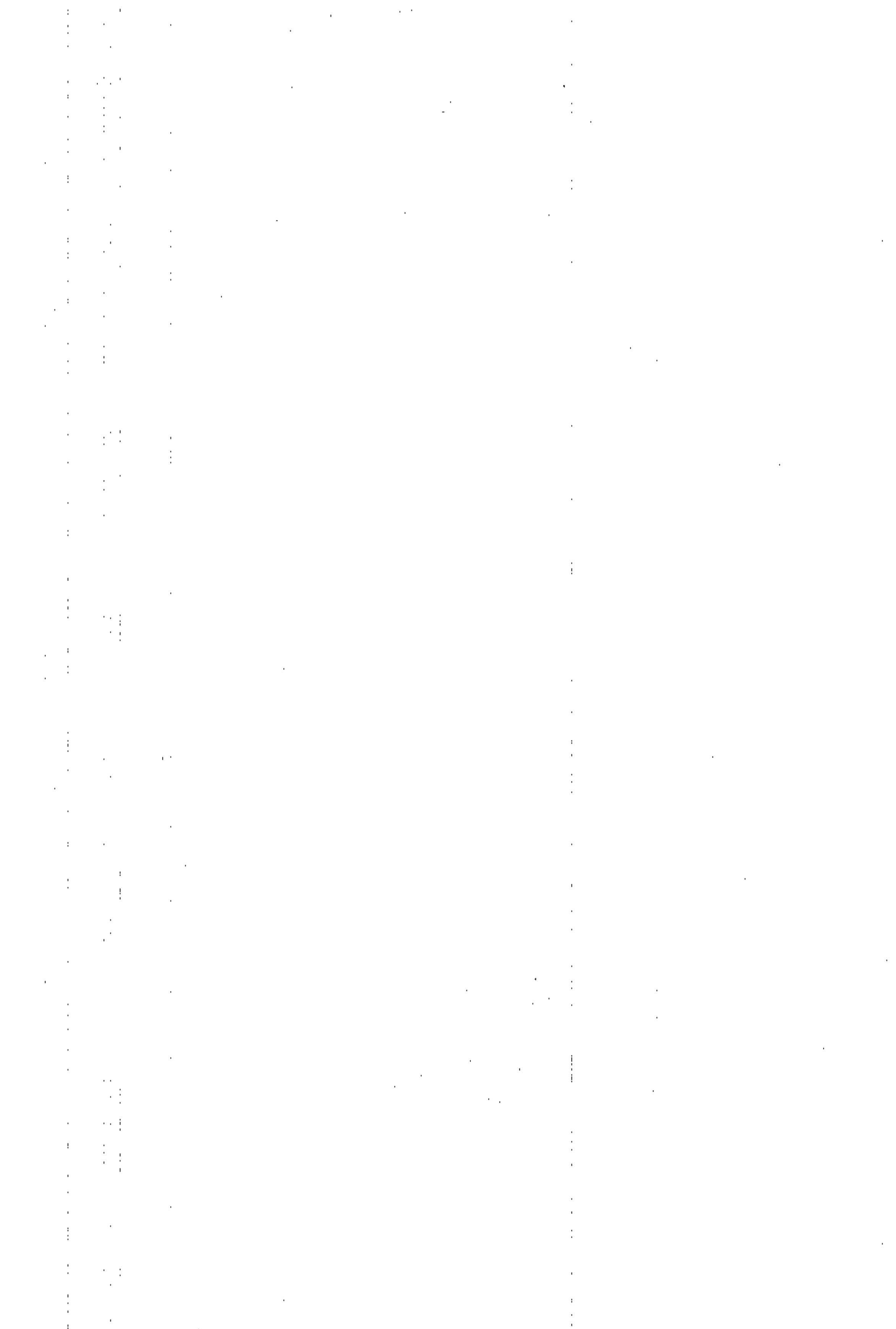
(طبعه بالكمبيوتر/ علي محمد رفيق)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : ﴿ والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى ﴾

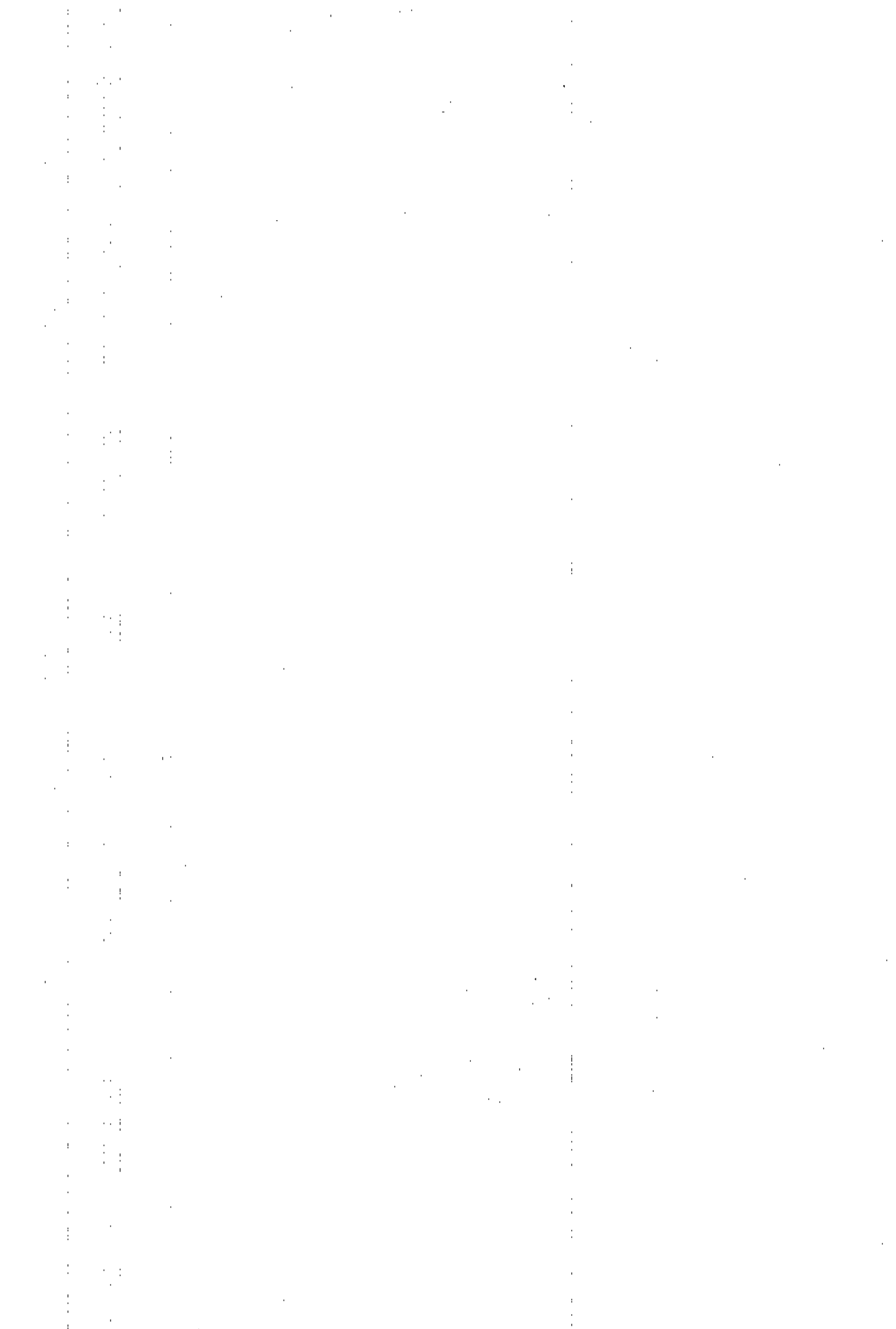
وقال المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه :

" والذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حقّ "



بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الكتاب



تقديم

هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

المجلس الأعلى العالمي للمساجد

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة

إن الحمد لله نستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً والصلاة والسلام على رسول الله وبعد..

فقد تفضل الأخ الدكتور / عبدالبديع حمزة زللي بعرض أصول كتابه القيم (ملامح مضيئة على أحاديث إيقاف تأبير النخيل) على هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لمراجعته، وقد أثنى الأخوة الباحثون في الهيئة على فكرة الكتاب ومحتواه العلمي حيث رد الكاتب حفظه الله الشبهة الشائعة التي تقول بخطأ اجتهاد النبي ﷺ في منع تأبير النخل على اعتبار أنه شيء دنيوي لا يتعلق بإبلاغ الرسالة وأن رأي النبي فيه وفي جميع الأشياء المشابهة اجتهاد بشري قابل للخطأ والصواب وقد استطاع الكاتب حفظه الله أن يناقش هذه الشبهة من خلال جمع النصوص الواردة في الموضوع وأن يلقي الضوء على وجه جديد من وجوه فهمها ويخرج بنتيجة مفادها أن

روايات تأبير النخل متعددة قيلت في مناسبات مختلفة مما يعني معرفة الرسول ﷺ بأهمية تأبير النخل وكان المقصود من تكرارها في مناسبات عديدة هو حث المعلمين على استخلاص النتائج في الأمور الحياتية من خلال التجارب العملية وبهذا أشار الكاتب إلى أن ذلك يعتبر سبقاً علمياً في الأخذ بالمنهج التجريبي وهو بذلك يشكل وجها من وجوه الإعجاز العلمي في السنة.

وبرغم أن الكتاب لا يخضع للمعايير العلمية لهيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والمقررة من قبل نخبة من العلماء الشرعيين والكونيين إلا أن أمانة الهيئة ترى أن اجتهاد الكاتب الكريم له وجه ويعتبر إضافة علمية جديدة للمكتبة الإسلامية.

ونرجو من الباحث الحرص على التعاون مع الهيئة وباحثيها خدمة للقرآن الكريم والسنة النبوية.

وفقه الله وسدد خطاه وزادنا الله وإياه علماً وعملاً وإخلاصاً.

أمين مساعد هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

د. حسن عبدالقادر با حفظ الله

تقديم الكتاب

الحمد لله رب العالمين ، وبه نستعين على أمور الدنيا والدين ، ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ورسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ، فهذا الكتاب البسيط يلقي الضوء على أحاديث إيقاف تأبير* النخيل بشكل موجز ، ويظهر أن أقوال الحبيب المصطفى ﷺ التي وردت في هذه الأحاديث قد شملت معان دقيقة لم ينتبه لها كثير من الناس .

ومن أبرز ما دعاني إلى كتابة هذا الكتاب تصحيح المفهوم الخاطئ عند بعض الناس لقوله ﷺ في أحد هذه الأحاديث ، إذ قال (أنتم أعلم بأمر دنياكم) .

فهل فكرنا وتأملنا في هذا القول بعمق ؟ .

فكثير من الناس أخذ بهذا القول الشريف وعممه على كل أمور الدنيا التي أخبر عنها أوقال فيها الرسول ﷺ قوله .

وهل فكرنا وتأملنا في الحكمة من إيقاف تأبير النخيل في ذلك العام ؟.
فالتفكر والتأمل في أفعاله وأقواله ﷺ يجعلنا ندرك ونفقه المعاني الدقيقة التي تشملها هذه الأقوال ، والرسول ﷺ لايقول إلا حقاً فهو لا ينطق عن الهوى ولهذا جاء أول فصل من هذا الكتاب للتأكيد على أن الرسول ﷺ لايقول إلا الحق سواء في أمور الدين أو في أمور الدنيا ؛ ثم يليه الفصل الثاني ليظهر أن من أقواله ﷺ مالا يفقهها إلا مَنْ مَنَّ الله عليه بذلك لذا دعا الرسول ﷺ لمن بلغ ما سمعه من الرسول ﷺ كما سمع إلى شخص آخر، فرُب مبلغ يفقه مباشرة قول الرسول ﷺ ، ولهذا فحري بنا أن نتأمل أحاديث إيقاف تأبير النخيل حتى نفقه جزءً من الحكمة في ذلك ؛ ويأتي الفصل الثالث ليكشف لنا أن أمره ﷺ بإيقاف تأبير النخيل لم يكن أمراً عارضاً لمرة واحدة ولم يخص فئة واحدة من المزارعين بل شمل فئات مختلفة في أماكن وأزمنة مختلفة ،

---

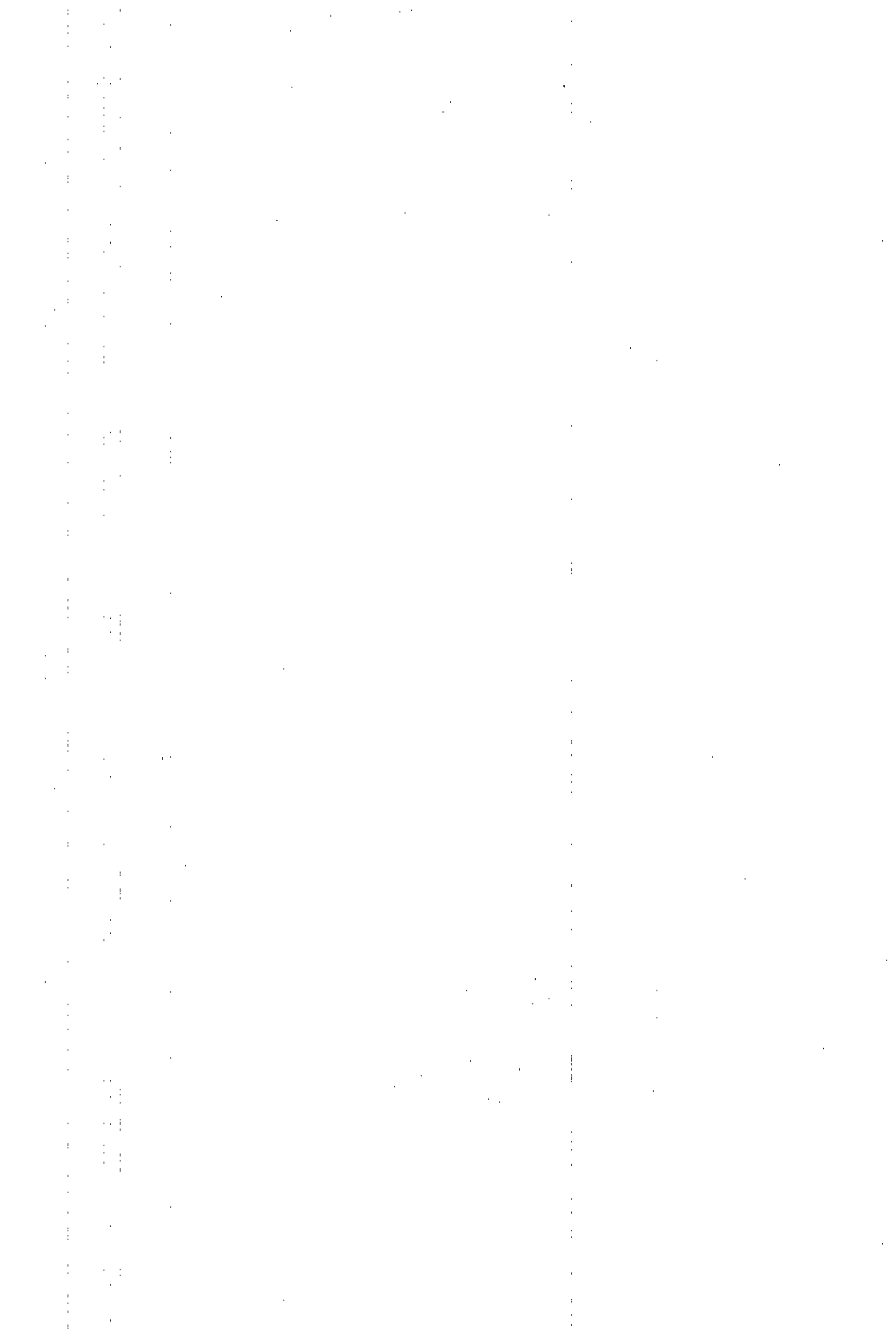
* تأبير النخيل هي عملية تلقيح إناث النخيل بالطلع المنقول من ذكور النخيل وتسمى الفحول كي ينعقد التمر ويصلح (انظر ص ٩٥ – ٩٩).

ثم يأتي الفصل الرابع ليكشف لنا جزءً من المعاني الدقيقة التي تظهر من خلال التدبر والتفكر والتأمل في أقوال المصطفى ﷺ في أحاديث إيقاف تأبير النخيل ، أما الفصل الخامس فيظهر لنا ماكشفه لنا العلم الحديث عن دور تأبير النخيل ، إذ ليست كل الأنواع منها تحتاج إلى هذا التلقيح .

وأود هنا أن أتقدم بالشكر الجزيل بعد شكر الله لكل من فضيلة الشيخ زهير الخالد الأستاذ بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بفرع جامعة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة ، ولفضيلة الشيخ اللواء الدكتور فيصل جعفر بالي مدير إدارة الشئون الدينية للقوات المسلحة ، والمشرف العام على مجلة الجندي المسلم ، لمراجعتهما هذا الكتاب .

د/ عبدالبديع حمزه عبدالله زللي

١٤١٨هـ / ١٩٩٧م



المقـــــدمة

المقدمة

فَهِمَ كثير من الناس أحاديث تأبير النخيل فهماً خاطئاً من خلال قوله ﷺ (أَنْتُم أَعلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُم) . وظنوا أن جميع الأمور الدنيوية التي حدث عنها المصطفى ﷺ هي من أمور الدنيا فقط لذا فهي تخضع لهذا القول . الأمر الذي يعرض الأحاديث النبوية المتعلقة بالأمور الدنيوية إلى التعطيل . وهذا الأمر جد خطير .

ولقد خاضَ في هذا الأمر كثير من العلماء منذ القدم وخاصة أولئك الذين اهتموا بأمور الفلسفة ، وعلوم الطب والعلوم الدنيوية الأخرى ، ونجد في هذا العصر أن بعضهم ربما يؤكد على أن ماقاله الرسول ﷺ في أمور الدنيا ومعيشها هي من إجتهاده وأخذوا يستعرضوا الأحاديث النبوية المتعلقة بأمور الطب مثلاً وهم لم يفهموها فهماً جيداً و يدركوا المعاني الدقيقة من أقوال الرسول ﷺ في ذلك إذ ربما وجدوا أن هناك تعارضاً وهمياً بين ما ورد في هذه الأحاديث وبين نتائج التطبيق الفعلية ، في حين أن الحقائق العلمية تنسجم مع هذه الأحاديث إنسجاماً مذهلاً يكشف لنا عن المعجزات النبوية .

وعموماً قد يفهم بعض الناس أقوال الحبيب المصطفى ﷺ فهماً ظاهرياً دون أن يتفكروا ويتأملوا في هذه الأقوال ولذلك قال الرسول ﷺ (نَضَّرَ اللّهُ امْرأً سَمِعَ مِنَّا شَيئاً فبلَّغَهُ كما سمعه فَرُبَّ مُبَلَّغ أوعى من سامع). فالرسول ﷺ لايقول إلا حقاً في مزحه ومداعبته ، في غضبه ورضاه ؛ في أمور الدين كلها وأمور الدنيا ولقد ورد في المسند[1] (أن **عبدالله بن عمرو بن العاص قال : قلت يارسول الله : إني أسمع مقالة**

---

(١) انظر ص ٢٦

أفأكتبها ؟ قال : نعم ، قلت : في الغضب والرضا ، قال : نعم فإني لا أقول فيهما إلاحقاً). ولقد صح أن الرسول ﷺ أمر بنفسه بعض المزارعين إيقاف تأبير النخل ، ونُقل هذا الخبر إلى بعضهم ...... فخرج بعض التمر شيصاً* فقال الرسول ﷺ في ذلك أقوالاً مختلفة حسب إختلاف الزمان والمكان والحادثة المرتبطة بذلك ، لأن وقائع إيقاف تأبير النخل لم تخص فئة واحدة من المزارعين ، ولامكاناً واحداً ولازماناً واحداً بل تدل الأحاديث التي وردت في هذا الشأن أن وقائع إيقاف تأبير النخل كانت في أزمنة وأماكن مختلفة ومع أقوام مختلفين من المزارعين ومنهم من خصهم الرسول ﷺ بالزيارة ، وأمرهم بإيقاف تأبير النخل ثم خصهم بالزيارة مرة أخرى عندما ظهرت النتائج وقالﷺ قوله المعروف:(أنتم أعلم بأمردنياكم).

ولقد فهم بعض الناس هذا القول فهماً خاطئاً دون أن يتأملوا المعاني الدقيقة التي يشملها هذا القول ، ودون أن يفكروا وأن يتأملوا في الحكمة من إيقاف تأبير النخل عام ذاك إذ خيل لبعضهم أن الرسول ﷺ لايعلم بدور ووظيفة تأبير النخل وماهي الفائدة المرجوة من ذلك ، كما خيل لهم أيضاً أن أمره ﷺ بإيقاف تأبير النخل كان أمراً عارضاً عند مروره ببعض القوم الذين كانوا يقومون بتلقيح النخل ، في حين أنه لم يكن شيئاً من ذلك صحيحاً ، فالرسول صلوات ربي وسلامه عليه على علم ومعرفة تامة بدور ووظيفة التأبير والفائدة المرجوة منه ، فهل أدرك هؤلاء الحكمة من أمره ﷺ ؟ .

---

* الشيص ردئ التمر وواحدته شيصة وشيصاء، ويقال للتمر الذي لم يشتد نواه. وأشاص النخل إشاصة ، إذا فسد وصار حمله الشيص (أنظر محمد بن مكرم بن منظور. لسان العرب . ط١ بيروت :دار صادر ١٣٧٤هـ /١٩٥٥م مج ٧ مادة شيص .

وربما يجد بعضهم في قول المصطفى ﷺ (أنتم أعلم بأمور دنياكم) ما يحمي أقوال وأفعال المصطفى ﷺ الخاصة بأمور الدنيا الأخرى من أي طعن أو تشكيك وخاصة عندما يبدو للملحدين تعارض وهمي بين نتائج العمل التطبيقي وبين أقوال نبي الهدى ﷺ ، فيسيؤون بذلك إلى أحاديث المصطفى ﷺ من حيث يحسبون أنهم يحسنون ، إذ كما ذكرنا سابقاً أن ما قاله الرسول ﷺ عن أمورالدين هو حق لامرية فيه ولا شك فيه حتى وإن بدا في بعض هذه الأحاديث تناقض ظاهري فمرده إلى عدم معرفة الأسباب التي أدت لذلك، وعدم معرفة المعاني الدقيقة التي تشملها أقوال الحبيب المصطفى ﷺ في هذه الأحاديث بل العكس فهذه الأحاديث تكشف لجميع البشر عن معجزة من معجزات النبوة التي تدلنا على أمر دنيوي مالم يعرف الناس عنه شيئاً إلا بعد أن توسعت العلوم والمعرفة ، وبعد أن تطورت الأجهزة والمخترعات ، لكن المصطفى ﷺ قد سبق العلماء والعلم الحديث وأشار أو كشف عن الحقائق العلمية ، الخاصة بهذا الشأن وهو لايملك أبداً من الوسائل والإمكانيات التي تساعده في الكشف عن ذلك ، وهو أبداً لم يكن طبيباً أو عالماً فلكياً أو عالماً في أمور الدنيا كلها ، ولكن الله سبحانه وتعالى كان يعلمه بهذه الأمور فيعرفها ويُعرف الناس بها مما يدل على صدق نبوته ﷺ ورسالته .

وكي نتأمل بيسر وسهولة الأحاديث التي وردت بخصوص إيقاف تأبير النخل كان علينا أن نمر على جميع الأحاديث الصحيحة التي جاءت في هذا الشأن، فهذه الأحاديث تظهر لنا أموراً كثيرة منها :

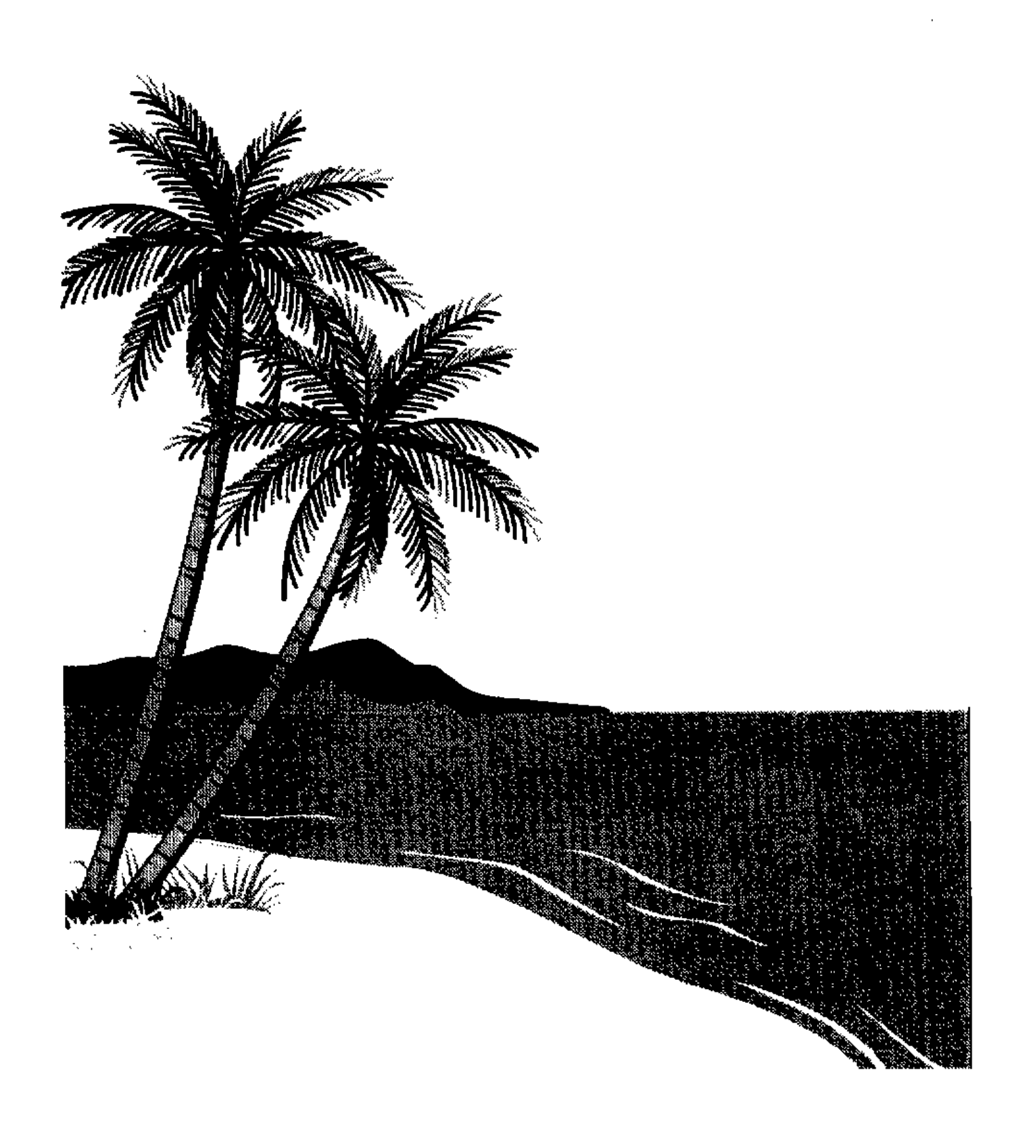
١) أن الرسول ﷺ كان على علم ومعرفة بدور ووظيفة تأبير النخل لإناث النخيل وفائدة هذا التأبير ونفعه في إصلاح التمر .

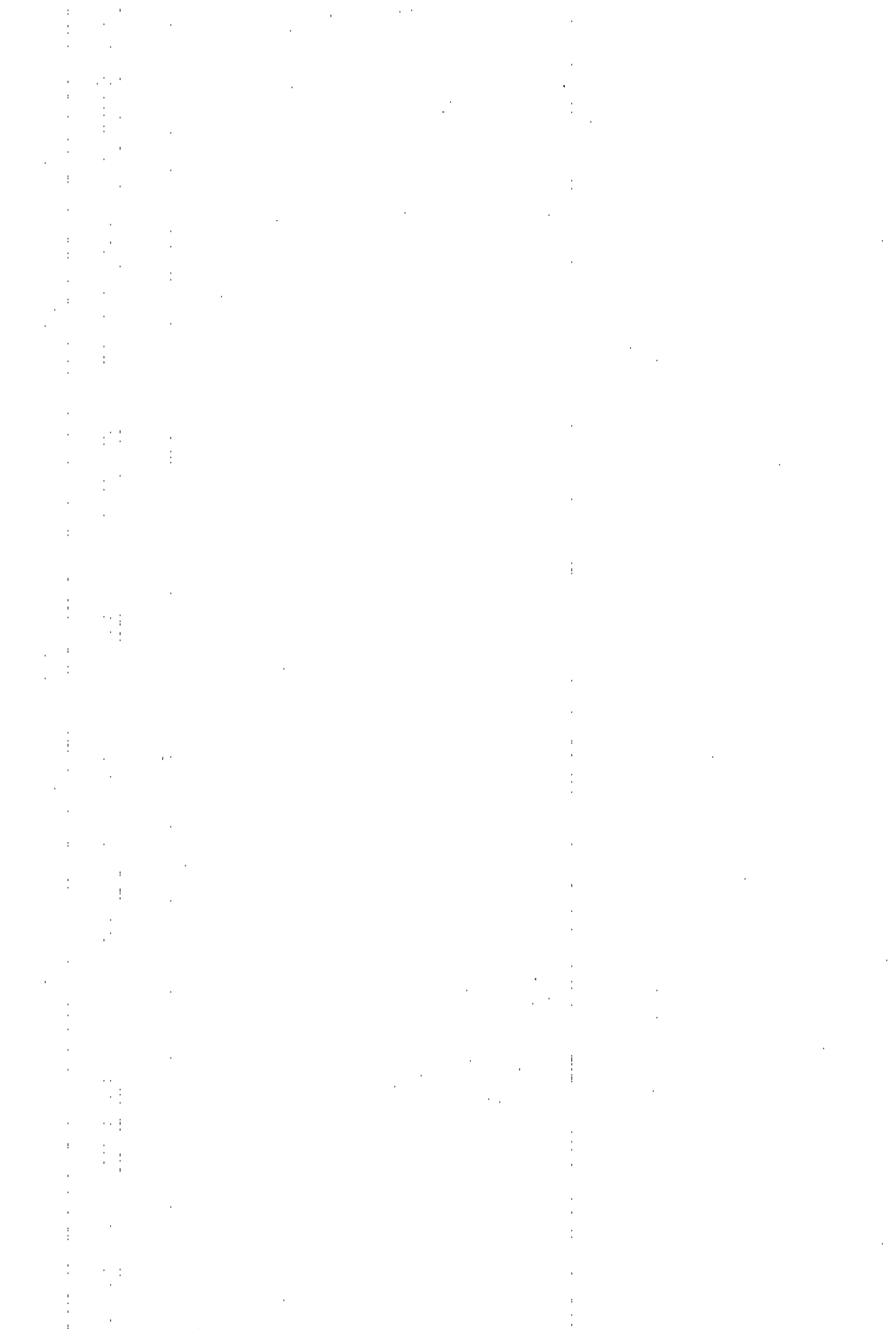
٢) أن أمره ﷺ بإيقاف تأبير النخل لم يكن أمراً عارضاً بل كان يعنيه المصطفى ﷺ لحكمة مخفية فالرسول صلوات ربي وسلامه عليه كان يعرف خبرة المزارعين الطويلة في الزراعة وفي زراعة النخيل خاصة ، ويعرف باعهم الطويل في هذا المجال وكان من البديهي أن الرسول ﷺ كان يعرف أن هذا الأمر ستظهر نتيجته مباشرة وسيأتي الناس ليسئلوه عن ذلك والله أعلم .

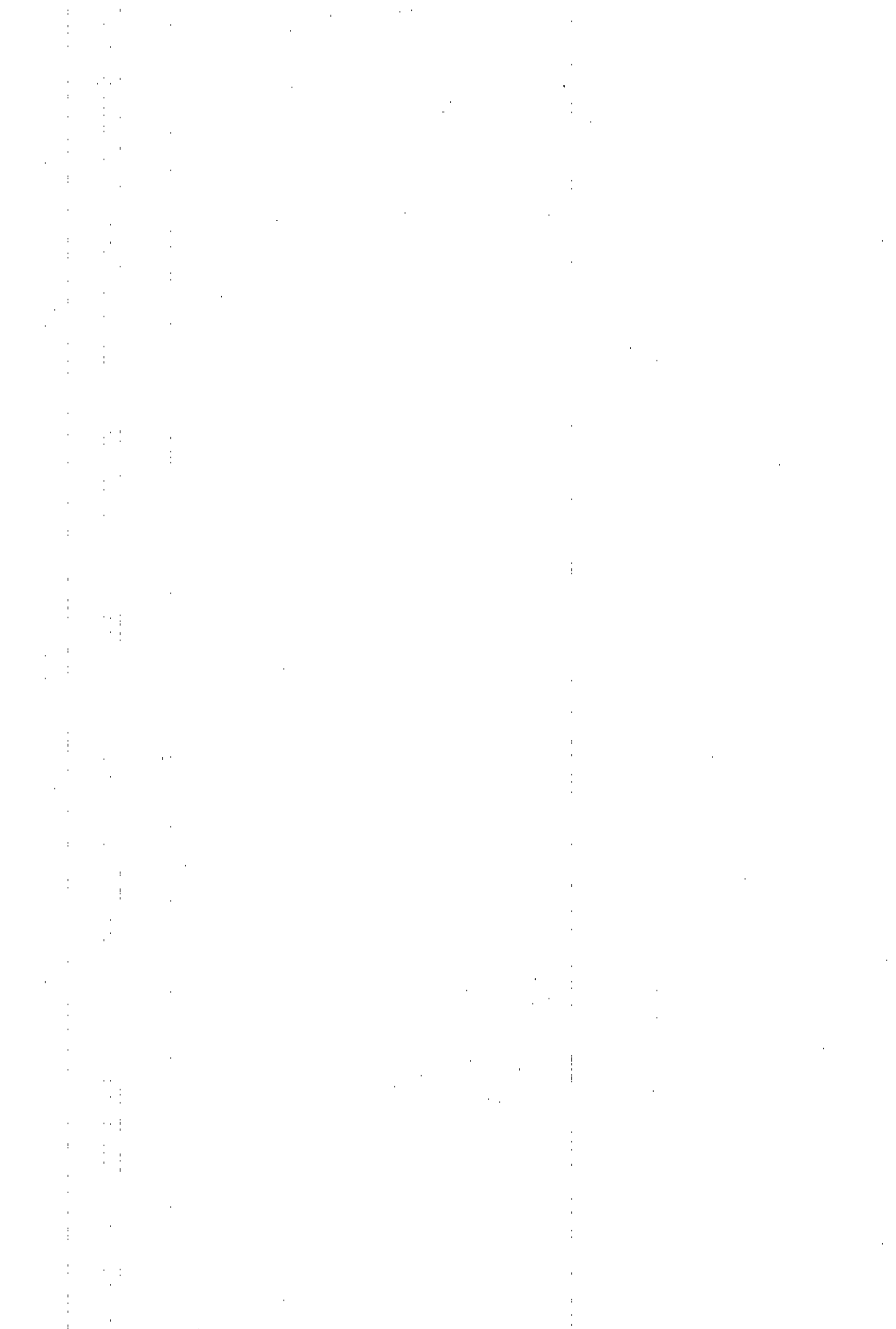
٣) بالرغم من أن الرسول ﷺ كان يعلم بأن أمر تأبير النخل هوأمردنيوي تظهر نتيجته بالإيجابية أو السلبية بالفعل أو عدم الفعل ، وبالرغم من معرفته بدور ووظيفة هذا التأبير فنجد أن الرسول ﷺ قد قام بالتحدث مع المزارعين وأمرهم بإيقاف تأبير النخل ، أو نُقل هذا الأمر إلى بعضهم عن طريق الصحابة ، أو الذهاب إلى بعضهم بنفسه ﷺ ليأمرهم بوقف تأبير النخل ثم الذهاب إليهم مرة أخرى بعد ظهور النتيجة ليسألهم بنفسه عن حالة تمرهم بعد أن صار شيصاً ، وهو ﷺ على علم بذلك .

كل هذه الأمور تجعلنا نفطن بأن هناك أموراً خفيةً وحكمة لانعرفها من وراء هذا العمل فليس كل ما ظهر من قولٍ أو فعلٍ للنبي ﷺ يمكننا أن ندرك بشكل مباشر مايقصده ﷺ عليه وسلم من ذلك بل لابد لنا أن نتأمل في ذلك حتى تظهر لنا أجزاء من تلك الحكمة وبعض من تلك المعاني الدقيقة .

ندرك اليوم جزءاً من تلك الحكمة عندما نقف على شيء مما كشفه العلم الحديث لنا عن دور تأبير النخل إذ يمكننا أن نعرف كيف يمكن للنخل أن ينتج تمراً جيداً في حالة عدم تأبيره .







الفصل الأول

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾
والنبي ﷺ لايقول إلا حقاً

١- القرآن يخبر أن الرسول ﷺ لاينطق عن الهوى
٢- الرسول يخبر أن قوله حق في المداعبة والمزاح

الفصل الأول

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى ﴾

والنبي ﷺ لايقول إلا حقاً

القرآن يخبر أن الرسول ﷺ لاينطق عن الهوى :

لايمكننا أبدا في هذا الكتاب البسيط المتواضع أن نعطي هذا الموضوع المهم جزءاً من حقه كما لا يمكن لأي قلم مهما كتب أن يوفي الكتابة حقها بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ، غير أن موضوع الكتاب ، يفرض علينا أن نستعرض النصوص من الكتاب والسنة التي تدل على أن أقواله ﷺ في أمور الدنيا هي حق لامرية ولاشك فيها ويدخل في ذلك أمره ﷺ إيقاف تأبير النخل في ذلك العام ، إذ أن في أمره ﷺ هذا حكمة تظهر لنا من عدة وجوه ، وربما يهيئ المولى سبحانه وتعالى لبعض العباد من يكشف لنا وجوهاً أخرى من هذه الحكمة ، وعموماً فبعض ماقاله أوفعله الرسول ﷺ قد لايفقهه إلا من فتح الله عليه بذلك لتكون بذلك آية على نبوته ورسالته وسنوضح ذلك في الفصل الثالث .

ونستعرض هنا ما يدل على أن قول وفعل المصطفى ﷺ حق لاشك فيه وهو كما يلي :

يقول المولى سبحانه وتعالى في سورة النجم آية (٣) وآية (٤) عن رسوله ﷺ ﴿وَمَايَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى③ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى④﴾.

ذكر ابن كثير[١] رحمه الله أن قوله تعالى﴿ وَمَايَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ أي مايقول قولاً عن هوى وغرض ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوْحَى ﴾ أي إنما يقول ما أمر به ، يبلغه للناس كاملاً موفوراً من غير زيادة و لا نقصان .

وقد ذكر ابن كثير[١] أن هذه السورة بدأت بالقسم إذ يقسم المولى سبحانه وتعالى بالنجم والخالق سبحانه يقسم بما شاء من خلقه فيقول سبحانه ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ومَاغَوَى② ﴾ فقوله تعالى ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ومَاغَوَى ﴾ هذا هو المقسوم عليه ، وهو الشهادة للرسول ﷺ بأنه راشد تابع للحق وليس بضال : وهو الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم ، والغوي هو العالم بالحق العادل عنه قصداً إلى غيره ، فنزه الله رسوله وشرعه عن مشابهة اليهود والنصارى ، وهو علم الشيئ وكتمانه والعمل بخلافه بل هو صلاة الله وسلامه عليه وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الإستقامة والإعتدال والسداد، ولهذا قال تعالى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾.

وقد ذكر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور[٢] أن قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ هو عطف على جواب القسم ، وهو وصف كمال لذاته . وذكر أن لفظ ﴿ وَمَا ﴾ نافية نفت أن ينطق عن الهوى . إذ أن الهوى هو ميل النفس إلى ما تحبه أو تحب أن تفعله دون أن يقتضيه العقل السليم الحكيم، ولذلك يختلف الناس في الهوى ولايختلفون في الحق، وقد يحب المرء الحق والصواب،فالمراد بالهوى إذا أطلق أنه الهوى المجرد عن الدليل.

---

(١) الحافظ عماد الدين أبو فداء اسماعيل ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ط٢، بيروت ، دار المعرفة ١٤٠٧هـ ، مج ٤ ، ص ٢٦٤ .

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ، تونس : الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م ، ج ٢٧ ص ٩٣

ثم أضاف الشيخ عاشور أن نفي النطق عن الهوى يقتضي نفي جنس ما ينطق به عن الإتصاف بالصدور عن هوى سواء كان القرآن أوغيره من الإرشاد النبوي بالتعليم والخطابة والموعظة والحكمة ، ولكن القرآن هو المقصود لأنه سبب هذا الرد عليهم . وأشار إلى تنزيه الرسول ﷺ يقتضي التنزيه عن أن يفعل أو أن يحكم عن هوى لأن التنزه عن النطق عن هوى أعظم مراتب الحكمة ، ولذلك كان من صفاته ﷺ أنه كان يمزح ولايقول إلا حقاً لذا فقد تم إبطال قولهم، فحسن الوقوف على قوله ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىَ ﴾ وذكر أن الرسول ﷺ كان ينطق بغير القرآن عن وحي وضرب لذلك عدة أمثلة ومن ذلك جميع الأحاديث القدسية التي فيها قال الله تعالى ونحوه واستشهد بحديث ورد في سنن أبي داوود[1]والترمذي أن الرسول ﷺ قال " إني أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على

---

(١) الحديث ورد في سنن أبو داوود الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢-٢٧٥هـ) سنن أبي داوود تحصين محمد محيى الدين عبدالحميد، بيروت ، المكتبة العصرية، مج٤، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، حديث رقم ٤٦٠٤ . بلفظ أن الرسول ﷺ قال: **(ألا إني أوتيت الكتاب ومثله أو معه يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحَرّمُوه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا أكل ذي ناب من السباع، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أن يَقْرُوُهُ فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه).**

وورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل(١٦٤-٢٤١هـ)مسند الإمام أحمد بن حنبل رقّم الأحاديث محمد عبدالسلام عبدالشافي ط١ ، بيروت : دارالكتب العلمية ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، مج٤، مسند الشاميين ، ص ١٦١ حديث رقم ١٧١٧٩) بلفظ أن الرسول ﷺ قال : **(ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، إلاإني أوتيت القرآن ومثله معه الا يوشك رجل ينثني على أريكته يقول: عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحَرّمُوه ، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ولاكل ذي ناب من السباع،ولا لقطة من مال معاهدإلاأن يستغني عنهاصاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يَقْرُوهُمْ فإن لم يَقْرُوهُمْ فلهم أن يُعْقِبُوهُمْ بمثل قراهم).**

أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وماوجدتم فيه من حرام فحرموه " .

الرسول يخبر أن قوله حق في المداعبة والمزاح

وردت أحاديث كثيرة تدل على ان قوله ﷺ في المزاح والمداعبة وفي الغضب والرضا إنما هوقول حق ؛ ونورد فيما يلي بعض الأحاديث التي تدل على ذلك ، جاء في المسند[1] أن عبدالله بن عمروﷺ قال (**كنت أكتب كل شيئ سمعته من الرسول ﷺ ، أريد حفظه ، فنهتني قريش وقالوا إنك تكتب كل شيئ تسمعه من رسول الله ﷺ ، ورسول الله بشر، يتكلم في الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب) فذكرت ذلك للرسول ﷺ ؟ فقال : أكتب فوالذي نفسي بيده ماخرج مني إلا حق**) .

---

(١) المسند(تحقيق أحمد محمد شاكر ، مرجع سابق) مصر :دار المعارف ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م، ج١٠ ، حديث رقم ٦٥١٠، وورد (الحديث نفسه) بالإسناد نفسه برقم ٦٨٠٢، وبإسنادين آخرين برقم ٧٠١٨ ، ورقم ٧٠٢٠ ، وورد (الحديث نفسه) في سنن أبي داوود (مرجع سابق) مج٣ ، كتاب العلم باب ١، كتاب العلم ، حديث رقم ٣٦٤٦ ، إذ جاء في آخر الحديث (فذكرت ذلك للرسول ﷺ ، فأومأ بإصبعه إلى فيه فقال : أكتب فو الذي نفسي بيده مايخرج منه إلا حق) وورد الحديث نفسه في سنن الدارمي (انظر: الإمام الحافظ عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي السمرقندي (١٨١ / ٢٥٥هـ). سنن الدارمي،ط١، القاهرة: دار الريان للتراث،بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، مج١، باب من رخص في كتابه العلم ص١٣٦) .

وورد في المسند(1) أيضاً أن يزيد بن هارون ومحمد بن يزيد قالا أخبرنا محمد بن إسحق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، قال : قلت يارسول الله أكتب ماأسمع منك ؟ قال نعم ، قلت في الرضا والسُّخْط ؟ قال فإنه لاينبغي لي أن أقول في ذلك إلا حقّاً . قال محمد بن يزيد في حديثه : يارسول الله ، إني أسمع منك أشياء ، فأكتبها ؟ قال: نعم .

وجاء في جامع الإمام الترمذي(2)رحمه الله عن أبي هريرة ﷺ قال : قالوا يارسول الله ، إنك تداعبنا ؟ قال : "**إني لا أقول إلا حقاً**" وهناك أحاديث كثيرة تظهر لنا كيف كان الرسول ﷺ يداعب ويمازح الناس ولايقول إلا حقاً .

فقد ورد في سنن أبي داوود (3) وجامع الترمذي(4) عن أنس رضي الله عنه (**أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال يارسول الله : احملني ، قال النبي ﷺ: " إنا حاملوك على ولد ناقة ") قال :وما أصنع بولد الناقة ؟ فقال الرسول ﷺ "وهل تلد الإبل إلا النوق؟** " .

---

(1) المرجع نفسه ، ج ١٢ ، حديث رقم ٦٩٣٠ .

(2) الإمام الحافظ أبي العلا محمد بن عبدالرحمن عبدالرحيم المباركفوري(١٢٨٣- ١٣٥٣هـ) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، مج ٦ (أبواب البر، الصلة، باب ماجاء في المزاح (باب٥٦) حديث رقم ٢٠٥٨).

(3) سنن أبي داوود (مرجع سابق) مج ٤ ، باب ماجاء في المزاح حديث رقم ٤٩٩٨ .

(4) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (مرجع سابق) مج٦ ، أبواب البر والصلة، باب ماجاء في المزاح (باب ٥٦) حديث رقم ٢٠٦٠ ، والحديث الذي ورد هنا جاء فيه أن الرسول ﷺ ردَّ عليه بلفظ " **إني حامِلكَ على ولد ناقةٍ** ".

ولقد ذكر القاضي عياض(١) رحمه الله أن الرسول ﷺ كان يمازح ويداعب الناس لبسط أمته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيداً في تحببهم ، ومسرَّة نفوسهم ، واستشهد بقوله ﷺ لأحملنك على ابن ناقة وبقوله للمرأة التي سألته عن زوجها فقال : (أهو بعينه بياض) .وقد استخلص الشيخ عبدالفتاح أبوغدة(٢) رحمه الله " أن مداعبته وممازحته ﷺ هي أسلوب من أساليب التعليم، وذكر أن الدعابة اللطيفة تروح عن الإنسان ، وتلطف من ثقل المتاعب التي تنتابه أو تصاحبه ، إذ إن الحياة ، لاتخلو من المرارة والمكاره ، والدعابة تخفف من وطأة ذلك على النفس ، والمرء يتعلم بالإبتسام والبِشر أكثر مما يتعلم من العبوس والقطوب ... ، وقد استشهد في ذلك بما ذكره العلامة إبن قتيبة رحمه الله حيث قال : إنما كان رسول الله ﷺ يمزح لأن الناس مأمورون بالتأسي والإقتداء بهديه فلو ترك الطلاقة والبشاشة ، ولزم القطوب ، لأخذ الناس أنفسهم بذلك على ما في مخالفة الغريزة من المشقة والعناء ، فمزح ليمزحوا . وكان لايقول إلا حقاً " .

واستخلص الشيخ عبد الفتاح (٣) رحمه الله من حديث ولد الناقة أيضاً أن قول الحبيب المصطفى ﷺ " إنا حاملوك على ولد ناقة " هو أسلوب من الأساليب المتنوعة التي كان ينهجها الرسول ﷺ في تعليم الناس ، ففي هذا الحديث من الأمور التعليمية التي تتمثل : في تنبيه النبي ﷺ المتعلم وغيره على أنه إذا سمع قولاً ينبغي له ان يتأمله ، وألا يبادر بردِّه ودلَّ على أن هذا خُلق هامّ جداً يتعين سلوكه على المتعلم ليفلح ؛ وفي هذا الحديث أيضاً لَفْتُ الذهن إلى إدراك المعاني الدقيقة ، وفي هذا الحديث نجد كذلك مايؤكد أن

(١) أبو الفضل عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ) الشفا بتعريف حقوق المصطفى،بيروت، دار الكتب العلمية ج٢ ، فصل وأما أقواله الدنيوية ص ١٨٨ .

(٢) عبدالفتاح أبو غدة الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم ، حلب / سوريا : مكتب المطبوعات الإسلامية ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، ص١٦١-١٦٢ .

(٣) المرجع نفسه ص ١٦٥

النبي ﷺ لايقول إلا حقاً حتى في المزاح ، مدعماً ذلك بقول الإمام ابن القيم رحمه الله الذي وضح وبين أن قول الرسول ﷺ حق وقال " أقسم النبي ﷺ على ما أخبر به من الحق، في أكثر من ثمانين موضعاً ، وهي موجودة في الصحاح والمسانيد ، وأمره الله بالحلف على تصديق ما أخبر به في ثلاثة مواضع من القرآن ، في سورة يونس آية ٥٣ ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾، وفي سورة سبأ آية ٣ ﴿ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ ، وفي سورة التغابن آية ٧ ﴿ قُلْ بلى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ " .

وقد أدرك الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أن قول المصطفى ﷺ في الأمور الدنيوية حق لا يشوبه أي ريب أو شك ، إذ كانوا يأخذون بقوله ﷺ دون تردد .

جاء في صحيح الإمام البخاري (١) رحمه الله : سمعت رافع بن خديج بن رافع ، عن عمه ظهير بن رافع ﷺ ، قال ظهير : (لقد نهانا رسول الله ﷺ عن أمرٍ كان بنا رافقاً قلت : ما قال رسول الله ﷺ فهو حق . قال: دعاني رسول الله ﷺ **قال** :" ما تصنعون بِمَحَاقِلِكُمْ ؟ " قلت : نُؤَاجِرُهَا على الربيع وعلى الأَوْسُق من التمر وعلى الشعير. **قال** : " لا تفعلوا ازْرَعُوهَا أو أَزْرِعُوهاَ ، أو أَمْسِكُوهَا " . قال رافع : قلت سمعاً وطاعة) .

(١) أحمد ابن علي ابن حجر العسقلاني(٧٧٣-٨٥٢هـ)فتح الباري بشرح صحيح البخاري ط١، القاهرة: دار البيان للتراث ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، مج٥، كتاب الحرث والمزارعة، باب ماكان من أصحاب النبي ﷺ يواسي بعضهم بعضاً في الزراعة والثمر (باب ١٨) ، حديث رقم ٢٣٣٩ .

وقد ذكر إبن حجر (١)رحمه الله أن قوله ﷺ " بمحاقلكم " أي بمزارعكم والحقل الزرع ، وقيل مادام أخضر ، والمحاقله المزارعه بجزء مما يخرج ، وقيل هو بيع الزرع بالحنطة ، وقيل غير ذلك .

وقول النبي ﷺ ازرَعُوها أو أَزْرِعُوها ، الأول بكسر الألف وهي ألف وصل والراء مفتوحه ، والثاني بألف قطع والراء مكسوره ، وأو للتخيير لا للشك ، والمراد ازرعوها أنتم أو اعطوها لغيركم يزرعها بغير أجره .

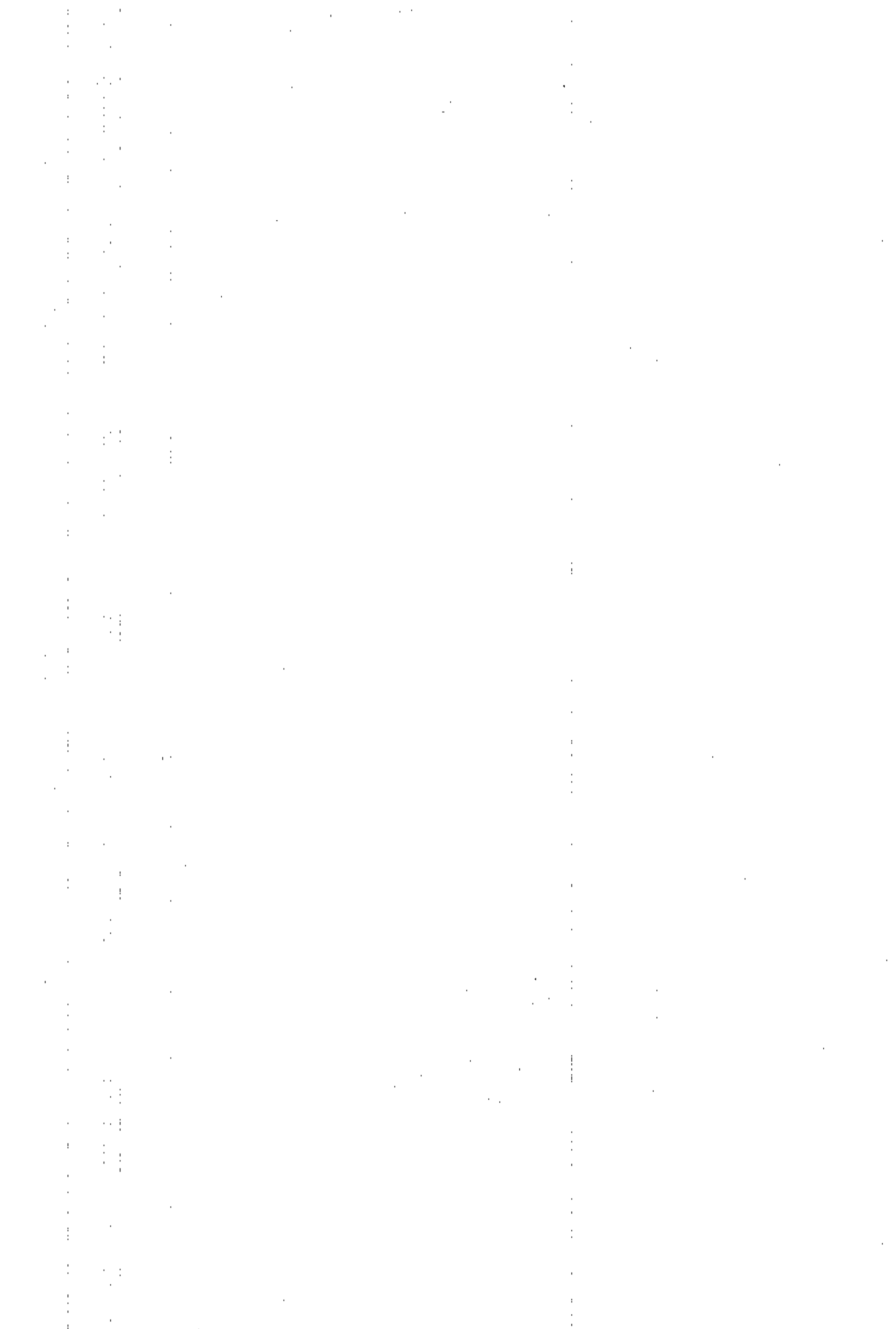
والشاهد في هذا الحديث على أن الصحابة ﷺ كانوا يأتمرون مباشرة دون تردد في أمور الدنيا بأمر الحبيب المصطفى ﷺ قول الصحابي الجليل " **سمعاً وطاعةً** " :والشاهد على يقينهم بأن قوله ﷺ حق وفيه منفعة لهم لدينهم ودنياهم يدل عليه قول الصحابي ﷺ " ماقال الرسول ﷺ فهو حق " .

وبعد أن القينا ضوءاً خاطفاً على صفة الرسول ﷺ في أنه لاينطق عن الهوى ، وقد مرّ بنا أن الرسول ﷺ كان يقول القول ، والقول هذا يشمل معانٍ دقيقة قد لا ندركها مالم نتأملها ، كقوله ﷺ " **إنا حاملوك على ولد ناقة** " فالإبل كلها ولد النوق، لذا ينبغي لنا **أن** نتأمل ونتدبر أقوال الرسول ﷺ كي ندرك المعاني الدقيقة، حتى نستفيد من ذلك ونفلح .

وتدل أحاديث كثيرة على أنه لابد لنا من أن نفقه قول الحبيب المصطفى ﷺ ونتدبر قوله كي ندرك المعنى الدقيق من هذا القول ، فربما ننظر مباشرة إلى ظاهر القول دون التمعن في المعنى الدقيق الذي يقصده الرسول ﷺ ، ولهذا فقد خصصنا الفصل الثاني من هذا الكتاب لإلقاء بعض الضوء على فقه قول النبي ﷺ مستشهدين في ذلك بأحاديث الحبيب المصطفى ﷺ .

---

(١) المرجع نفسه ص ٢٩ .

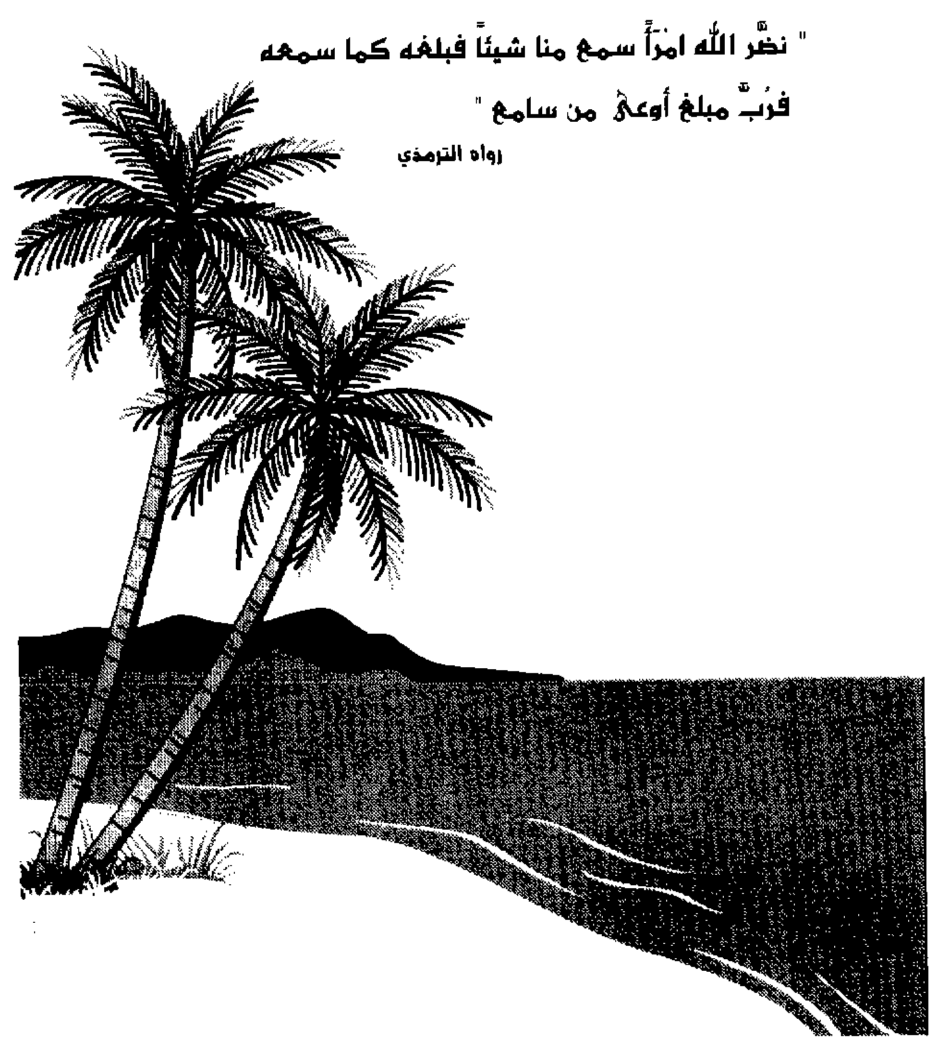


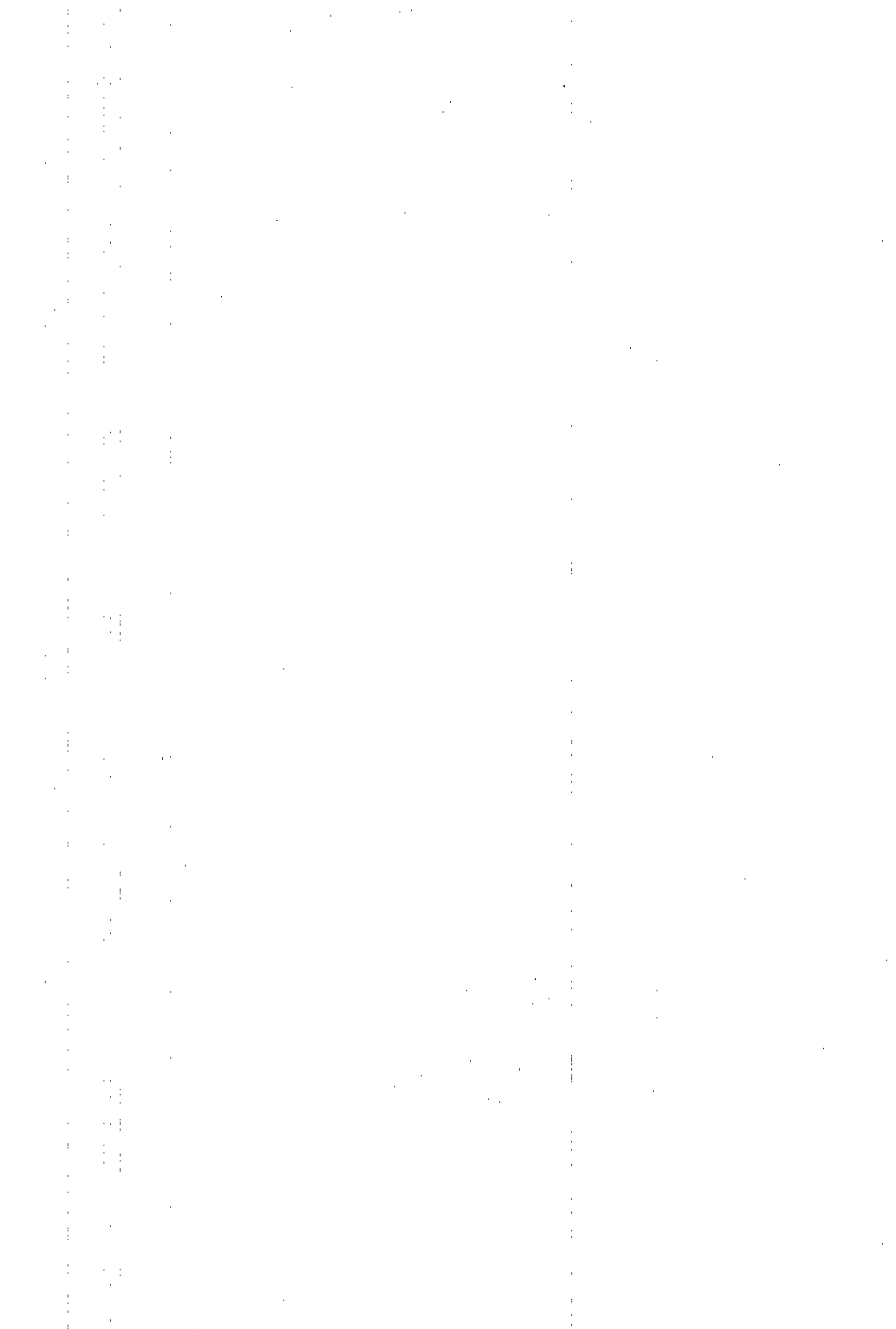
قال ﷺ :

" نضّر الله امرأً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه

فرُبّ مبلغ أوعى من سامع "

رواه الترمذي





الفصل الثاني

فقه قوله أو فعله ﷺ

١- نضَّر الله امرأً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه.

٢- وذاك عند أوان ذهاب العلم .

٣- بيت لا تمر فيه جياع أهله .

٤- المواد الأساسية التي يحتويها التمر .

الفصل الثاني

فقه قوله أو فعله ﷺ

لقد منّ الله سبحانه وتعالى على نبيهﷺ بفصاحة اللسان وبلاغة القول، وعن هذا الأمر يقول القاضي عياض(١) رحمه الله " وأما فصاحة اللسان ، وبلاغة القول ، فقد كان النبي ﷺ من ذلك بالمحل الأفضل ، والموضع الذي لا يجهل سَلاسةَ طبعٍ ، وبراعه منزعٍ ، وإيجاز مَقْطَعٍ وفصاحة لفظٍ ، وجزالة قولٍ ، وصحة معان ، وقلة تكلف . أوتي جوامع الكلم ، وخص ببدائع الحكم، وعلم ألْسِنة العرب ، فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من الصحابة يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله . من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والأنصار وأهل الحجازونجدٍ، ككلامه مع ذي المشعار الهمذاني .... وغيرهم من أقيال * حضرموت وملوك اليمن " .

ولقد ورد حديث في مسند الإمام أحمد(٢) رحمه الله وفيه يقول : "حدثنا عبدالله، حدثني أبي، حدثنا وكيع، عن سفيان،عن أسامة، عن الزهري،

---

(١) أبو الفضل عياض اليحصبي(ت٥٤٤هـ)الشفا بتعريف حقوق المصطفى إليه للقاضي عياض (مرجع سابق) ، ج١ فصل : " وأما فصاحة لسانه ص٧٠ " .

* والقَيْلُ ملك من مُلوكِ حِمْيَرَ دون الملك الأعظم، والمرأة قَيْلَة، وأصله قَيِّلٌ بالتشديد، كأنه الذي له قول، أي يَنْفُذُ قوله والجمع أقوال وَ أقيالُ أيضاً، ومن جَمَعَهُ على أقيالٍ لم يجعل الواحِدَ منه مشدداً (اسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، ط٣،بيروت:دار العلم للملايين، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(٢) مسند الإمام أحمد (مرجع سابق) مج ٦ ، ح ٢٥١٣٠ .

عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : " كان كلام النبي ﷺ فصلاً يفقهه كل أحد لم يكن يسرده سرداً " .

فصلوات ربي وسلامه عليه فقد كان حريصاً على أن يعي كل شخص قوله ويفقهه ، غير أنه ومن باب الإعجاز والدلالة على نبوته ، فقد كانت بعض أقواله أو أفعاله الظاهرة لا يفقهها إلا قليل من الناس ولذلك صح عن المصطفى ﷺ أنه دعا لمن يحفظ حديثاً وبلغه لغيره فربما كان الذي نقل إليه الحديث فقيهاً يفقه الحديث ويعرّف الناس بذلك .

فقد وردت أحاديث كثيرة في هذا الشأن وسنورد منها ما يلي :

روى الإمام الترمذي (١) رحمه الله حديثاً يقول : "حدثنا محمود بن غيلان، أخبرنا أبو داود ، أنبأنا شعبة عن سماك بن حرب قال سمعت عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود يحدث عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " نضَّر الله امْرَأً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرُبَّ مبلغ أوعى من سامع " .

وروى حديثاً آخر يقول فيه : " حدثنا محمود بن غيلان ، أخبرنا أبو داود، أخبرنا شعبه ، أخبرني عمر بن سليمان من ولد عمر بن الخطاب ، قال سمعت عبدالرحمن بن أبان بن عثمان يحدث عن أبيه قال خرج زيد بن ثابت من عند مروان نصف النهار ، قلنا ما بعث إليه هذه الساعة إلا لشيء يسأله

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (مرجع سابق)، أبواب العلم ،باب٧ (باب في الحث على تبليغ السماع ،ح٢٧٩٤، ٢٧٩٥ ، ورويت أحاديث كثيرة في نفس الموضوع ففي مسند الإمام أحمد مج٤ ،ح١٦٧٤٣ ، ١٦٧٥٩، ومج٥، ح٢١٦٤٥. وفي سنن إبن ماجه أبو عبدالله يزيد بن محمد القزويني بن ماجه (٢٠٧-٢٧٥هـ) سنن ابن ماجه حققه ورقم أحاديثه محمد فؤادعبدالباقي، بيروت: دار الكتب العلمية ، في المقدمه باب١٨، (باب من بلغ علماً)،ح٢٣٠، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦، وفي كتاب المناسك باب٧٦ ، (باب الخطبة يوم النحر) ح٣٠٥٦. وفي سنن أبي داود، مج ٣، كتاب العلم، باب ١٠ (باب فضل نشر العلم) ح: ٣٦٦ ، وفي سنن الدارمي ، مج١ ، باب ٢٤ (باب الإقتداء بالعلماء) ح٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، وانظر الطبراني في الكبير .

عنه ، فقمنا فسألناه ، فقال : نعم سألنا عن أشياء سمعناها من رسول الله ﷺ ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **نَضَّرَ الله امْرَأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلِّغه غيره ، فرب حَامِلِ فِقْهٍ إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فِقْهٍ ليس بِفَقِيهٍ** " .

ومن خلال جميع هذه الأحاديث ندرك تماماً أن بعض أفعال أو أقوال نبي الهدى ﷺ قد لايفقه المقصود منها مباشرة من رآها أو سمعها ، ولذلك دعا المصطفى ﷺ لمن سمع كلامه وحفظه ثم بلغه لغيره كما سمعه دون تغيير ، إذ قد يفقه المبلغ مباشرة ما يقصده الرسول ﷺ من الفعل أو القول .

ولقد شرح الإمام المباركفوري(١) رحمه الله قوله ﷺ : " **(نضَّر * الله امْرَأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره ......)** فقال : معنى**(فحفظه)** أي بالقلب أو بالكتابة ، **(فرب حامل فقه)** أي علم، **(إلى من هو أفقه منه)** أي فرب حامل فقه قد يكون فقيهاً ولايكون أفقه فيحفظه ويبلغه إلى من هو أفقه منه فيستنبط منه ما لا يفهمه الحامل أو إلى من يصير أفقه منه ، إشارة إلى فائدة النقل والداعي إليه ،وذكر المباركفوري ما قاله الطيبي عن قوله **(ورب حامل فقه ليس بفقيه)** ، إذ قال إن ذلك يبين أن راوي الحديث ليس الفقه من شرطه ، إنما شرطه الحفظ ، وعلى الفقيه التفهم والتدبر .

---

(١) تحفة الأحوذي للإمام المباركفوري (مرجع سابق) مج ٧ ، ص ٣٤٨ .

* نضَّر : جاء في اللسان النَّضْرة هي النعمة والعيش والغنى ، وقيل الحُسْن والرونق ، ونضَرَ الله وجهه نضرة أي حسن ، ويقال نضَّر الله وجهه بالتشديد ، وأنظر الله وجهه بمعنى وإذا قلت نضَرَ الله امرءاً بمعنى نعمةً ، وفي الحديث عن النبي ﷺ : نضَّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم أدّاها إلى من يسمعها (انظر لسان العرب لأبن منظور ،مرجع سابق ، مج ٥ ، مادة نضر) .

ولعل التدبر في بعض الأحاديث النبوية ، يظهر لنا ما يؤكد أن من أقواله ﷺ قد لايفقه منها بعض السامعين إلا ما يشير إليه ظاهر القول ولكن بعض الناس وكما أخبرنا رسول الهدى ﷺ قد يدرك ويفقه تماماً المقصود الخفي في القول الظاهر .

ولقد ورد في المسند للإمام أحمد(١) رحمه الله : " حدثنا عبدالله حدثني أبي، حدثنا وكيع حدثنا الأعمشي عن سالم بن أبي الجعد ، عن زياد بن لبيد قال : ذكر النبي ﷺ شيئاً فقال " وذاك عند أوان ذهاب العلم " قال : قلنا يارسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ، ونقرئه أبناءنا ، ويُقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة ؟ فقال : " ثكلتك أمك يابن أم لبيد ، إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة أو ليس هذه اليهود والنصارى يقْرَؤُون* التوراة والإنجيل لاينتفعون مما فيهما بشيء".

وفي سنن إبن ماجه (٢) رحمه الله جاء في الحديث نفسه إلا أنه انتهى بقوله ﷺ : " أوليس هذه اليهود والنصارى يقْرأُونَ التوراة والإنجيل لايعملون بشيء مما فيهما ؟ " .

وقد روى الإمام الترمذي(٣) رحمه الله بلفظ إختلاس العلم من الناس ، فقد ورد : " حدثنا عبدالله بن عبدالرحمن ، أنبأنا عبدالله بن صالح ، حدثني معاوية بن صالح ، عن عبدالرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه جبير بن نفير

---

(١) المسند للإمام أحمد بن حنبل (مرجع سابق) مج٤ ، ح١٧٤٨٥،١٧٩٤٢ ،وانظر أيضاً مج٦ ، ح٢٤٠٤٥ .

* يقْرَؤُونَ: وردت في الكتاب على هذا النحو، ولم تكتب يقْرُونَ.

(٢) سنن ابن ماجه (مرجع سابق) ، مج٢،كتاب الفتن، باب١٤ (باب ذهاب القرآن والعلم) ح٤٠٤٨.

(٣) تحفة الأحوذي (مرجع سابق) مج٧ ، كتاب العلم ، باب ٥، (باب ماجاء في ذهاب العلم) ح٢٧٩١.

عن أبي الدرداء قال : كنا مع النبي ﷺ فشخص ببصره إلى السماء ثم قال : " هذا أوان يُخْتَلَسُ العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء "، فقال زياد بن لبيد الأنصاري : يارسول الله ، وكيف يختلس منا ، وقد قرأنا القرآن ، فوالله لَنَقْرَأَنَّهُ ، ولَنُقْرِئَنَّهُ نساءنا وأبناءنا . فقال : " ثكلتك أمك يا زياد ، إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة ، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم ؟ " .

قال جبير : فلقيت عبادة بن الصامت ، قال : قلت ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء ؟ فأخبرته بالذي قال ، قال : صدق أبو الدرداء إن شئت لأحدثنك بأول علم يرفع من الناس : الخشوع ، يوشك أن تدخل مسجد الجماعة ، فلا ترى رجلاً خاشعاً (١) .

ونحن اليوم وفي هذا العصر وعلى الرغم من أننا لم نصل بعد إلى أوان ذهاب العلم لكننا قد أدركنا جزءاً من معجزة الرسول ﷺ في إخباره باختلاس العلم ورفعه ، فلننظر إلى حالة المسلمين في الدول الشيوعية ،ألم ترفع كتب لاإله إلا الله وتحجب عن أنظارهم ؟ ألم تختلس منهم كتب الهدى والنور حتى ألحد بعضهم وصار لايعرف من الإسلام إلا اسمه .

فصدقت يامن بعثك الله هادياً وبشيراً ، وسراجاً منيراً وصلوات ربي وسلامه عليك بعدد ما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون ..

فهذا القرآن وهذه كتب الإسلام قد توفرت لبعضهم ، ولكن هل عملوا بها وهل أغنت عنهم شيئاً ؟ إنها لم تغن عنهم شيئاً ولم تنفعهم بشيء . فكأنما رفعت وحجبت عنهم .

---

(١) وروى الحديث أيضاً الإمام الدارمي ، انظر : سنن الدارمي ، (مرجع سابق) ، مج١، المقدمة ، باب ٢٩ ، (باب من قال :العلم ، الخشية وتقوى الله) . ح ٢٨٨.

ونسوق هنا مثلاً آخر يوضح لنا الإعجاز في أقوال المصطفى ﷺ ، إذ قد لايلمس بعضنا مباشرة المضمون من ظاهر قوله ﷺ .

فقد وردت أحاديث كثيرة في كتب الحديث المعتمده ، يدل فيها ظاهر القول أنه لايجوع أهل بيت عندهم تمر ، فكيف يتمثل فيهم الجوع على الرغم من أنهم قد يملأون بطونهم من طعام آخر غير التمر ، لذا فربما تطرأ على الذهن أسئلة واستفسارات ، إذ كيف يجوع جسم الإنسان على الرغم من أنه يحافظ على الأكل ويملأ بطنه بالطعام ؟ فكلنا يعرف أن الجوع لايأتي إلا من فراغ البطن ، أما إذا امتلأت بطن الإنسان بالطعام حس بالشبع وذهب عنه الإحساس بالجوع ، ونذكر هنا إحدى الروايات لبعض هذه الأحاديث حيث ورد في صحيح الإمام مسلم(١) رحمه الله : " حدثنا عبدالله بن مسلمة بن قعنب ، حدثنا يعقوب بن محمد بن طحلاء عن أبي الرجال محمد بن عبدالرحمن عن أمه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :"يا عائشة بيت لا تمر فيه جياع أهله ،قالها مرتين أو ثلاثاً". نعم قد لايحوي بيت من البيوت التمر ، وإنما قد يوجد فيه طعام آخر يتغذى به أهل البيت ويملأون بطونهم منه ، إذاً كيف تجوع أجسامهم ؟ .

---

(١) انظر الإمام محي الدين يحي النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ط١ ، مكة المكرمه : المكتبة الفيصليه، ١٣٤٧هـ / ١٩٢٩م ، باب وجوب إمتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ ، ج١٥ ص (١١٦-١١٧). ج١٣، باب إدخار التمر ونحوه للعيال ص٢٣٠ وورد الحديث نفسه في مسند الإمام أحمد مج٦، مسند عائشة ح ٢٥٦٠٤، ح٢٥٥١١،وفي الترمذي في كتاب الأطعمة باب١٧،(باب ماجاء في استحباب التمر) وفي سنن ابن ماجه ،مج٢، كتاب الأطعمة ح ٣٣٢٧، وفي مسند أبي داود في كتاب الأطعمة باب٤١ ، (باب في التمر) وفي سنن الدارمي مج ٢ ، باب ٢٦ (باب في التمر) ح ٢٠٦٠ .

نلمس من هذا الحديث ومن أحاديث أخرى في نفس الموضوع إشارة صريحة ودليل واضح أن التمر ليس كأي طعام آخر، وإنما التمر يحوي على عناصر ومواد غذائية قد لاتتوافر مجتمعه في طعام آخر ، ونلمس أيضاً من هذه الأحاديث أن تمثل الجوع في جسم الإنسان لاينحصر في حالة فراغ المعده من الطعام ، فالجوع * قد يتمثل في جسم الإنسان وبدنه على الرغم من عدم الإحساس به لأن المعده ممتلئه بالطعام ، وهذا ما كشفه لنا العلم الحديث وكشفته لنا أجهزة وآليات التحليل الكيميائي .

لقد بات كثير من الناس يشكو حالة أطفالهم ، فأصبح كثيرٌ منهم ضعيفاً هزيل الجسم ، سريع الحساسية للمرض ، ويبدو حالهم كأنهم جوعى لايأكلون ولايشربون على الرغم من أنهم قد يلجأون إلى الأكل والشرب بشكل متواصل ومستمر ، فبطونهم مليئة بالطعام ، لكن أجسامهم وأبدانهم جائعة .

نعم إنهم يأكلون ويشربون على نحو مستمر لذا لايشعر أحدهم بإحساس الجوع ولكن بماذا تمتلئ البطون ؟ إننا لو رجعنا إلى العادات الغذائية التي يمارسها هؤلاء الأطفال أو غيرهم لرأينا أن بطون هؤلاء لا تمتلئ عادة إلا بطعام قد لايحوي على جميع العناصر والمواد الغذائية التي

* تحتاج أجسامنا إلى عناصر ومواد غذائية كثيرة، إذ يأخذ الجسم احتياجاته من هذه العناصر والمواد الغذائية من الطعام الذي نأكله، وجوع الجسم الذي نقصده هنا هوعدم إيفاء الجسم حاجته من جميع العناصر والمواد الغذائية المطلوبة. وإطفاء حاسة الجوع عن طريق أكل حاجته من الطعام قد لايعطي الجسم حقه من العناصر والمواد الغذائية فيجوع، وقد يمرض، لذا فنوعية الطعام التي تحتوي على كمية متوازنة من العناصر والمواد التي يحتاجها الجسم هي النوعية الصحيحة، والطعام الذي يخرج عن هذه الحدود فقد يكون ضاراً أو على الأقل غير مفيد، (انظرعلى سبيل المثال كتاب: جلال خليل المخللاتي، التغذية وصحة الإنسان، ط٢، الرياض، دار الشوافي للنشر والتوزيع، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

يحتاج إليها الجسم يومياً فهي تُحشى بمختلف أشكال وأنواع التسالي ، وتغذى بلحوم الوجبات السريعة والغذاء المصنع ، وتمتلئ بأصناف لاحصر لهـا مـن المشروبات الغازية ، فهل جميع هذه الأصنـاف مـن الطعـام والشـراب تحـوي على ما يطلبه الجسم يوميـاً مـن عنـاصر غذائيـة محـدده ، ومـواد وفيتامينـات معينة ؟ ، وهل الإفراط في تناول هذه الأطعمـة آمنـاً صحيـاً ؟ بـالطبع لا ! ، فهي لاتحتوي على ما يحتاجه الجسم من العناصر والمواد ، كما أنهـا تحتـوي على كثير من المواد الضارة السامة التي تتمثـل فـي المـواد الملونـة والمنكهـة الصناعية والمواد الحافظة الكيميائية ، فالجوع إذاً ليس جوع البطن وإنما هـو جوع الجسم والبدن .

فصدقت يامن لا ينطق عن الهوى ، إن أجسامهم وأبدانهم جائعة علـى الرغم من أن بطونهم مليئة بالطعام .

فتعالوا لنلقي نظرة خاطفة على مـا كشـفته لنـا العلـوم الحديثـة ونتـائج التحليل الكيميائي عن القيمة الغذائية للتمر حتى نـدرك الإعجـاز فـي قولـه ﷺ " **بيت لاتمر فيه جياع أهله** " .

لقد بحث كثير من العلماء فيما يحتويه التمـر مـن قيمـة غذائيـة عاليـة وظهرت نتائج هذه الدراسات في مجلات علمية مختلفة ، مما حدى بكثير مـن العلماء أن يفردوا لفوائد التمر كتباً أو مقالات خاصة ومنهم من استعرض ذلك فـي بـاب أو فصـل وخاصـة فـي الكتـب التـي تهتم بـالغذاء والتغذيـة ، وحتـى لانطيل على القارئ فنلخص بصورة مختصرة ما يحتويـه التمـر مـن عنـاصر ومواد أساسية للحياة من كتاب نخلة التمر(١)وكتاب الأسودان التمر والماء (٢) وغيرهما من الكتب .

---

(١) عـاطف محمد إبراهيم و محمد نظيـف حجـاج خليف ، نخلـة التمر ، الإسكندرية : منشأة المعارف (١٩٩٣م) .

(٢) حسان شمسي باشا : الأسـودان التمـر والمـاء بين القرآن والسنة والطب الحديث ، ط١، جدة : دار المنارة للنشر والتوزيع ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

ومن المواد الأساسية التي يحتويها التمر ما يلي :

١- السكريات :

ومنها السكريات الأحادية مثل سكر العنب الذي يسمى جلوكوز وسكر الفواكه الذي يسمى فركتوز ، ومنها السكريات الثنائية كسكر القصب والمسمى السكروز وهو السكر العادي الذي يستخدم في تحلية الشاي والمأكولات الحلوة ، وتبلغ نسبة المواد السكرية في التمر من ٧٠ إلى ٨٠ في المئة من الوزن الجاف .

٢- الأليــاف :

للألياف النباتية دور مهم في حياة الإنسان،ولقد ذكرنا أهم هذه الفوائد في كتاب "وجوه متنوعة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة" [1] ونشير هنا باختصار إلى بعض فوائد هذه الألياف فهي تعمل على تنظيم حركة الأمعاء ، كما أن الدراسات والبحوث التي أجريت في مختلف بقاع العالم قد أثبتت أن الألياف تعمل على تقييد وتكبيل المعادن السامة الضارة التي تؤثر في كثير من أعضاء الجسم وخاصة الكلى والكبد والقلب ، ومن هذه المعادن مايسبب أمراض الكلى المختلفة ، ورفع ضغط الدم ، وتضخم القلب ، والعقم .... فالألياف النباتية الموجودة في الطعام تحول دون وصول هذه المعادن إلى هذه الأعضاء وتطرحها مع فضلات الطعام خارج الجسم .

---

(١) عبدالبديع حمزه زللي : وجوه متنوعة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة (كتاب مطبوع في طريقه للنشر)، ج١، الباب الثاني (الإعجاز البلاغي واللغوي في القرآن والسنة) الفصل الأول : الإعجاز في ترتيب الألفاظ والكلمات في القرآن والسنة .

والتمر كغيره من الفواكه يحتوي على الألياف ولكنه يتميز عنها بأنه يحتوي عليها بنسبة عالية ، إذ تبلغ هذه النسبة ٨,٤ في المئة في حين أن الجزر يحتوي عى ٢,٩ في المئة .

وهناك جانب آخر يتعلق بكيفية إزالة التمر للسموم والسحر شرحه الدكتور محمود النسيمي (١)في كتابه الطب النبوي والعلم الحديث إذ بَيَّن كيف يكون التمر واقياً من السم والسحر عن طريق سكر القصب الذي يحويه، وعن طريق زيادة قوة المقاومة الجسدية والنفسية لآكليه.

فصدق الرسول الكريم ﷺ حين قال :"**من تصبَّح كلٌ يومٍ سبعَ تمرات عجوة لم يَضرَّه ذلك اليوم سُمّ ولا سِحر**(٢)" . ولم يكن أحد يدرك كيف يقوم التمر بتعطيل فعل السم ، غير أن العلم الحديث بدأ يكشف لنا عن بعض الأمور المتصله بهذا الموضوع .

على أية حال هناك فوائد أخرى للألياف ذكرناهافي كتاب وجوه الإعجاز ولاداعي للتكرار.

---

(١) محمود ناظم النسيمي، الطب النبوي والعلم الحديث، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٧هـ / ١٩٧٨م، مج٣، ص ٢٩٢-٢٩٧.

(٢) ورد هذا الحديث في صحيح الإمام البخاري: انظرأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مج٩، كتاب الأطعمة ، باب ٤٣، ح٥٤٤٥، كتاب الطب ح٥٧٦٨،ح٥٧٦٩ ،ح٥٧٧٩، ومسند الإمام أحمد (مرجع سابق) مج١ ، ح١٥٧٦، وسنن أبو داود (مرجع سابق) ، مج٤ ، كتاب الطب ، ح٣٨٧٦ .

٣- البروتين :

يحتوي التمر أيضاً على البروتين وإن كانت هذه النسبة بسيطة ولكنها تختلف باختلاف نوع التمر وطور نموه ، ودرجات النضج ، ولقد ذكر الدكتور/ عاطف إبراهيم ، والدكتور / محمد خليف [١] في كتابهما أن نسبة البروتين في البلح تتراوح بين ١,٥ إلى ٢ في المئة وأن البروتين ذي جودة غذائية عالية غير أن هذه النسبة تزداد في بعض الأصناف لتصل إلى ٢,٧٨ في المئة .

٤- الدهون :

توجد في التمر نسبة بسيطة من الدهون وغالباً ما تتركز هذه الدهون على القشرة كطبقة رقيقة شمعية ، وتتراوح نسبة الدهون في التمر من ٠,٣١ إلى ١,٩ في المئة من وزن التمر الرطب .

٥- الفيتامينات :

تعتبر التمور غنية بالفيتامينات وخاصة فيتامين أ ، إذ تتراوح كمية هذا الفيتامين في ١٠٠غرام ما بين ٨٠ إلى ١٠٠ وحدة دولية ، أما فيتامين ج فتتراوح بين ٠,٧٧ إلى ٢,٧ مجم في كل ١٠٠ جرام تمر . كما يحتوي التمر على كميات متوسطة من فيتامينات ب١ ، ب٢ ، أما حمض

---

(١) نخلة التمر لعاطف إبراهيم و محمد خليف (مرجع سابق) ص ١٢١ .

النيكوتينيك وهو فيتامين ب٣ فتتراوح نسبته من ١,٣ إلى ٢,٢ مجم في نفس كمية التمر (١٠٠جرام) ، ويذكر الدكتور شمسي باشا (١) أن الجسم يحتاج ١٢مجم يومياً من هذا الفيتامين ، لذا فإن تناول ١٠٠جرم من التمر يعطي تقريباً سدس حاجة الجسم اليومية من فيتامين ب٣ ، وتدل الدراسات أن النقص الشديد لهذا الفيتامين يؤدي إلى حدوث أمراض معينة ومن هذه الأمراض مرض يسمى مرض البلاجرا ، ومن أعراض هذا المرض التهاب جلدي وإسهال وخرف .... ، ويضيف الدكتور شمسي باشا أن الجرعات العالية من حمض النيكوتينيك (فيتامين ب٣) تفيد في علاج إرتفاع دهون الدم ، على أن يتم ذلك بإشراف الطبيب لذا فقد يكون تناول التمر يومياً بكميات كبيرة كما نرى في المجتمعات المختلفة التي اعتادت على جعل التمر الوجبة الرئيسية لها سبباً في إبتعاد هؤلاء غالباً عن أمراض القلب والشرايين التي يسببها إرتفاع نسبة الدهون في الدم .

٦- الأملاح المعدنية :

تعتبر التمور مصدراً غنياً يمد الجسم بالأملاح المعدنية وخاصة عنصر البوتاسيوم الذي يعتبر عنصراً ضرورياً وخاصة بالنسبة لوظائف القلب وتتراوح نسبته في كل ١٠٠ جرام تمر بين ٦٤٩مجم إلى ٩٠٥ مجم ، كما أنه غني أيضاً بعنصر المغنيسيوم والحديد، ويذكر الدكتور شمسي باشا (٢) أن ١٠٠ جرام من التمر تحتوي على خمس الحاجة اليومية من المغنيسيوم والحديد وما يقارب نصف الحاجة اليومية من البوتاسيوم وفي الوقت نفسه

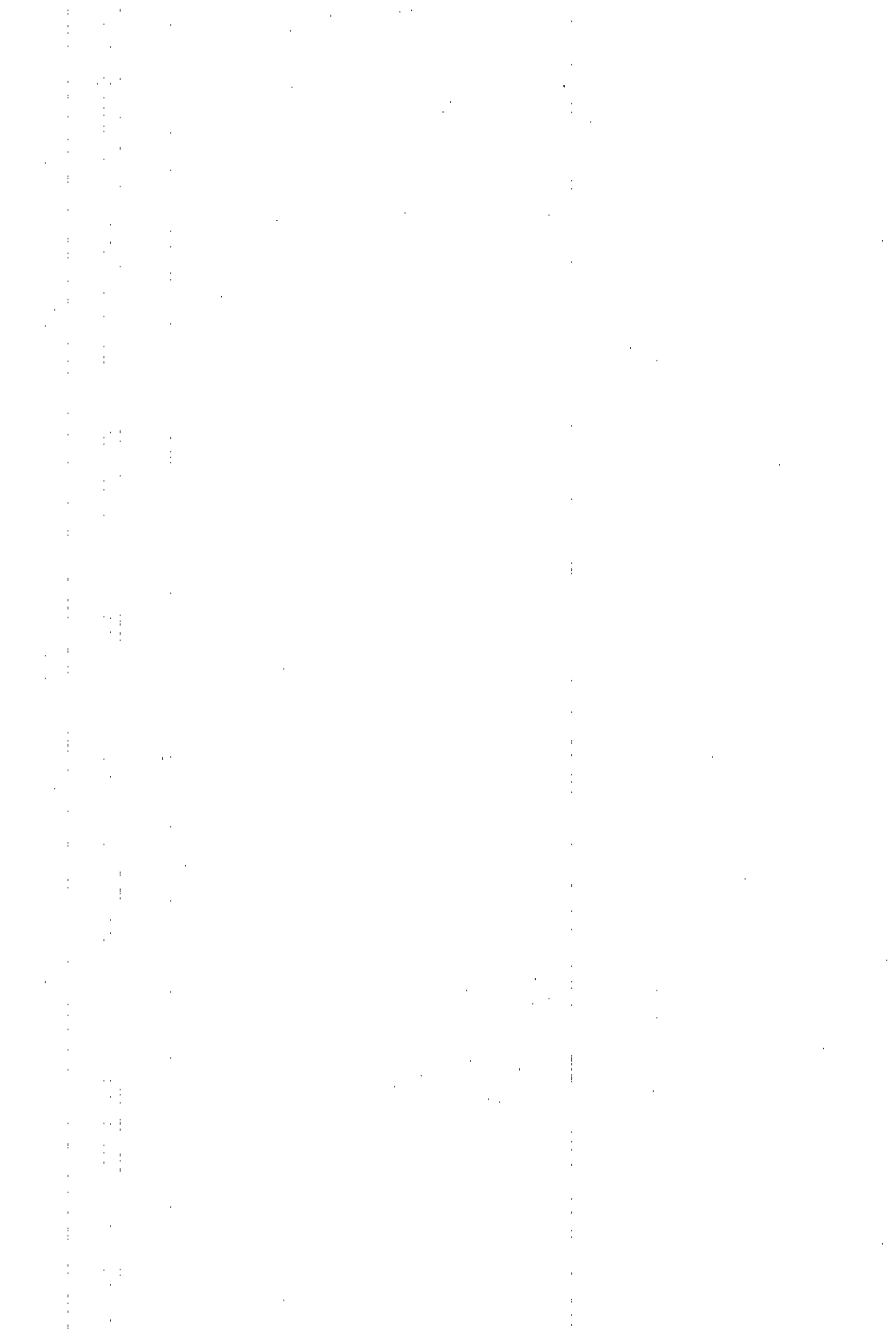
---

(١) الأسودان التمر والماء لحسان شمسي باشا (مرجع سابق) ص ٥٥ .

(٢) نفس المرجع ص ٢٨ .

يتميز بقلة عنصر الصوديوم (نجد أن نسبته تتراوح في ١٠٠ جرام تمر بين ٤,١ – ١٦ مجم) ولهذا يرى أن التمر يناسب المرضى المصابين بارتفاع ضغط الدم حيث ينصح هؤلاء بتجنب ملح الطعام أو تخفيف استعماله لأنه غني بالصوديوم ولانريد أن نسترسل في هذا الموضوع حتى لانخرج عن دائرة موضوع الكتاب لكن الواقع فرض علينا أن نلقي جانباً بسيطاً عن محتوى التمر من العناصر والمواد الغذائية حتى يتبين لنا بوضوح الإعجاز في قوله ﷺ " **بيت لاتمر فيه جياع أهله** " ، ولمن أراد أن يستزيد في هذا الموضوع فيمكنه الرجوع إلى كتاب نخله التمر وكتاب الأسودان .

ومن خلال هذا العرض البسيط الذي قدمناه ندرك أن بعض أقواله وأفعاله ﷺ قد لايدرك المقصود منها جميع الناس ، ولكن ربما يفقهها مَنْ مَنَّ الله عليه وفتح عليه ، إذ يدرك بسهولة هذا المقصود ، أو ربما تكتشف للناس جزءًا من الحكمة في قوله أو فعله ﷺ مع مرور الزمان ومع تطور العلوم والمعرفه وتطور المخترعات والمكتشفات التي عن طريقها تتبين حقائق علمية جديدة توضح خفايا وأسرار لم يكن يعرفها الناس من قبل ،عندها يبرز للناس جميعاًجزءاً من تلك الحكمة ،وندرك عندئذ أن قوله أو فعله ﷺ إنما هو من الإعجاز الذي خص الله تعالى به نبي الهدى ﷺ .



قال الله تعالى :

﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۞ رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴾

سورة ق (آية ١٠ ، ١١)



الفصل الثالث

أمره ﷺ إيقاف تأبير النخيل ليس أمراً عارضاً

فئات من المزارعين الذين تعامل معهم المصطفى ﷺ بشأن إيقاف تأبير النخيل .

الفئة الأولى

الفئة الثانية

الفئة الثالثة

الفئة الرابعة

الفصل الثالث

أمره ﷺ إيقاف تأبير النخيل ليس أمراً عارضاً

بتدبر وتفكر واعٍ في أحاديث التأبير يظهر لنا بشكل واضح جلي أن رسول الهدى ﷺ كان يعلم ماهو دور التأبير ووظيفته ، كما أن حادثة إيقاف التأبير لم تكن حادثة عارضة مع فئة واحدة من المزارعين وإنما شملت فئات مختلفة من المزارعين بل إن فعله ﷺ معهم لم يكن واحداً .

لذا فالتمعن في أحاديث إيقاف تأبير النخل يُظْهِرْ لنا ماهي الأقسام أو الفئات من المزارعين الذين تعامل معهم الرسول ﷺ بشأن إيقاف تأبير النخيل، إذ يدل ذلك دلالة واضحة على أن أمره ﷺ بإيقاف التأبير لم يكن لقومٍ واحدٍ مرَّ بهم ، بل كان أمره ﷺ لأقوام مختلفين في أزمنة وأماكن مختلفة ، كما يدل ذلك على علمه ﷺ بدور ووظيفة التأبير وسنوضح ذلك فيما بعد . ولنرى الآن ما هي فئات المزارعين الذين أمرهم الرسول ﷺ بإيقاف تأبير النخل :

<u>الفئة الأولى</u> :

شملت هذه الفئة مزارعين لم يخبرهم الرسول ﷺ بنفسه عن قوله في التأبير وإنما أُخبروا بذلك ، فقد مرّ الرسول ﷺ بقوم على رؤوس النخيل فسأل ﷺ **ماذا يصنعون ؟** فأجابوه وأخبروه بوظيفة التأبير فقال ﷺ : **ما أظن ذلك يغني شيئاً** ، فنقل ذلك للمزارعين ، فتركوا التأبير ، وعندما تركوا عملية تأبير النخل لم يدعهم الرسول ﷺ كي يستمروا على أمرهم هذا حتى تظهر النتائج بعد مدة طويلة ، وإنما ترك لهم حرية العمل والتطبيق على إعتبار فهمهم الجيد لزراعة النخيل وخبرتهم بها، ولذلك أمر ﷺ أن يُخْبَر مباشرة أولئك المزارعين الذين تركوا تأبير النخيل إن كانوا يعتقدون أن التأبير ينفعهم فليصنعوه ، ونستدل على ذلك من الأحاديث التاليه :

الحديث الأول :

ورد في صحيح الإمام مسلم(١) رحمه الله حديث يقول فيه : " حدثنا قتيبة بن سعيد الثقفي وأبو كامل الجحدري وتقاربا في اللفظ وهذا حديث قتيبه قالا حدثنا أبو عوانة عن سماك عن موسى بن طلحة عن أبيه قال مَرَرْتُ مع رسول الله ﷺ بقوم على رؤوس النخل فقال: **ما يصنع هؤلاء** فقالوا يُلقِّحونه يجعلون الذكر في الأنثى فتلقح فقال ﷺ **ما أظن يُغني ذلك شيئاً** ، قال فأُخبروا بذلك فتركوه فأُخبر الرسول ﷺ بذلك فقال **إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظنّاً فلا تؤاخذوني بالظنّ ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإني لن أكذب على الله عزوجل** ".

الحديث الثاني :

ورد نفس الحديث في مسند الإمام أحمد(٢) رحمه الله بهذا اللفظ : " حدثنا عبدالله ، حدثني أبي ، حدثنا بهز وعفان قالا : حدثنا أبو عوانة ، عن سماك، عن موسى بن طلحه ، عن أبيه قال : مرَّ النبي ﷺ على قوم في رؤوس النخل فقال : " ما يصنع هؤلاء ؟ " قالوا : يلقحونه يجعلون الذكر في الأنثى ، قال : " ما أظن ذلك يغني شيئاً " ، فأُخْبروا بذلك ، فتركوه فأُخْبِر النبي ﷺ فقال : " إن كان ينفعهم فليصنعوه ، فإني إنما ظننت ظناً ، فلاتؤاخذوني بالظن ، ولكن إذا أخبرتكم عن الله عزوجل بشيء فخذوه ، فإني لن أكذب على الله شيئاً ".

---

(١) انظر الإمام محي الدين يحي النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي (مرجع سابق)، ط١، مكة المكرمه: المكتبة الفيصليه، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م، باب وجوب إمتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ ، ج١٥ ص (١١٦-١١٧) .

(٢) مسند الإمام أحمد (مرجع سابق) .

الحديث الثالث :

ورد في سنن ابن ماجة رحمه الله (١) حديث يقول فيه : "حدثنا علي بن محمد حدثنا عبيدالله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن سماك أنه سمع موسى بن طلحة بن عبيدالله يحدث عن أبيه ، قال :مررت مع رسول الله ﷺ في نخل فرأى قوماً يلقحون النخل ، فقال "ما يصنع هؤلاء ؟ " قالوا يأخذونه من الذكر فيجعلونه في الأنثى قال ، ما أظن ذلك يغني شيئاً ، فبلغهم ، فتركوه فنزلوا عنها ، فبلغ النبي ﷺ فقال " إنما هو الظن ، إن كان يغني شيئاً فاصنعوه ، فإنما أنا بشر مثلكم ، وإن الظن يُخطِيءُ ويصيب ، ولكن ما قلت لكم : قال الله فلن أكذب على الله " .

ويدل نص هذه الأحاديث على أن النبي ﷺ قد مرّ مع جماعة من الصحابة وشاهد بنفسه أولئك القوم الذين كانوا يلقحون النخل ، وسأل عما كانوا يصنعون وكانت الإجابة عن سؤال النبي ﷺ من المجموعة التي كانت تصحبه ولم تكن من شخص واحد ، ويُستدل على ذلك من خلال الإجابة على سؤال النبي ﷺ (ما يصنع هؤلاء ؟) ، التي وردت في نص الأحاديث المذكورة ، إذ نجد أن الإجابة في هذه الأحاديث كانت بلفظ فقالوا ، وقالوا .

كما تدل هذه الأحاديث أيضاً على أن النبي ﷺ حينما أخبروه بأن المزارعين قد تركوا تأبير النخل لأنهم علموا بقول النبي ﷺ في أمر التأبير الذي قال فيه " ما أظن ذلك يغني شيئاً " فقال :" إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه " .

ويدل حرف الفاء الذي سبق الكلمات على فورية الإستجابة من المزارعين من خلال كلمة " فأُخبروا بذلك فتركوه " ، وعلى فورية نقل فعلهم هذا إلى النبي ﷺ من خلال " فأُخبِر النبي ﷺ بذلك " ، وعلى فورية ردّ النبي ﷺ من خلال " فقال إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه " .

---

(١) سنن ابن ماجه (مرجع سابق) ، باب تلقيح النخل ، ج٢ ، ح (٢٤٧٠) .

وهذه الأحاديث تؤكد أيضاً السرعة العجيبة لإستجابة المسلمين لأمر النبي ﷺ دون تردد، حتي وإن لم يكن أمره صريحاً، فهو لم يأمرهم بترك التأبير وإنما قال: ما أظن ذلك يغني شيئاً ، ومع ذلك فقد انتهوا عن التأبير مباشرة فور أن وصل هذا الخبر لهم .

الفئة الثانية :

وشملت هذه الفئه قوماً من المزارعين سألهم النبي ﷺ بنفسه ماذا تصنعون؟ ، فأجابوا عن سؤاله وقالوا كنّا نصنعه – أي تأبير النخل – فقال لهم النبي ﷺ بنفسه "لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً "، على عكس الفئةالأولى التي ُنقل لهم قول النبي ﷺ في التأبير والذي قال فيه "ما أظن ذلك يغني شيئاً " فهذه الفئة أمرهم النبي ﷺ بأسلوب يدل على كمال حسن خلق النبيﷺ وتواضعه إذ لم يأمرهم أمراً صريحاً وإنما قال لهم " لعلكم لو لم تفعلوا " ، فعلى الرغم من علو منصبه ورفعة مكانته كان أشدّ الناس تواضعاً وأحسنهم خلقاً وأعدمهم كِبراً فصلوات ربي وسلامه عليه .

وعندما ظهرت نتيجة إيقاف تأبير النخيل أخبِر النبي ﷺ بذلك فقال قولاً يختلف في اللفظ عما قاله للفئة الأولى .

ويمكننا أن نقف على ما قاله النبي ﷺ لهؤلاء المزارعين من حديث ورد في صحيح الإمام مسلم(١) رحمه الله يقول فيه : " حدثنا عبدالله بن الرومي اليمامي وعباس بن عبدالعظيم العنبري وأحمد بن جعفر المعقري قالوا حدثنا النضر ابن محمد حدثنا عكرمة – وهو بن عمّار – حدثنا أبو النجاشي حدثني رافع بن خديج قال : " قدم النبي ﷺ المدينة وهم يَأبُرُونَ*

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (مرجع سابق) : كتاب الفضائل ، باب وجوب إمتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره ﷺ ج١٥ ، ص(١١٧) .

* يَأبُرُونَ : وردت في الكتاب على هذا النحو ، ولم تكتب يُوَبِّرُون .

النخل يقولون يلقحون النخل فقال ما تصنعون ، قالوا كنّا نَصنعه قال :" لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً"، فتركوه فنفضت أو فنقصت قال فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال "إنما أنا بشرٌ إذا أمرتكم بشيءٍ من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيءٍ من رأيي فإنما أنا بشر ، قال عكرمة أو نحو هذا قال المعقري فَنَفَضَتْ ولم يَشُكَّ ".

ولقد نوّه الإمام النووي رحمه الله عن قوله " من رأيي " فقال : " إن لفظة الرأي إنما أتى بها عكرمة على المعنى لقوله في آخر الحديث قال عكرمه أو نحو هذا فلم يخبر بلفظ النبي ﷺ محققاً " .

الفئة الثالثة :

والفئة الثالثة شملت أقواماً من المزارعين لم يرهم المصطفى ﷺ وهم يقومون بتلقيح النخيل ولكنه سمع الأصوات التي تنْشأ من جراء هذه العملية ، فسأل عن هذه الأصوات فأخبروه بذلك فقال ﷺ : " لو لم يفعلوا لصلح " ونجد هنا أن أمره ﷺ بعدم تأبير النخل لم يقله الرسول ﷺ بنفسه للمزارعين ولكنهم أخبروا بذلك، فتركوا التأبير وظهرت النتيجة بعد ذلك فقال الرسول ﷺ لهم قولاً اختلف في اللفظ كما قاله للفئة الأولى والفئة الثانية ، ويستدل على ذلك من الأحاديث التالية :

الحديث الأول :

ورد في مسند الإمام أحمد(١) رحمه الله : " حدثنا عبدالله ، حدثني أبي ، حدثنا عفان قال : حدثنا حماد بن سلمة قال ، أخبرنا ثابت ، عن أنس وهشام بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة : أن النبي ﷺ سمع أصواتاً فقال :

---

(١) مسند الإمام أحمد (مرجع سابق) ، مج٦ ، ح ٢٤٩٧٣ .

" **ما هذه الأصوات ؟** " قالوا : النخل يؤبرونه يارسول الله ، فقال : "**لو لم يفعلوا لصلُحَ** " فلم يؤبروا عامئذ ، فصار شيصاً ، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : " إذا كان شيئاً من أمر دنياكم فشأنكم به ، وإذا كان شيئاً من أمر دينكم فإليّ " .

الحديث الثاني :

وفي سنن ابن ماجه (1)ورد فيه : " حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت عن أنس بن مالك وهشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة : أن النبي ﷺ سمع أصواتاً فقال : " **ماهذا الصوت ؟** " ، قالوا : النخل يؤبرونها ، فقال: " **لو لم يفعلوا لَصلَحَ** " ، فلم يؤبروا عامئذ ، فصار شيصاً ، فذكروا للنبي ﷺ فقال : " **إن كان شيئاً من أمر دنياكم فشأنكم به ، وإن كان من أمور دينكم ، فإليّ** ".

وورد أيضاً في مسند الإمام أحمد حديثاً يدل على أن الصحابي الجليل طلحة بن عبيدالله* ﷺ كان مرافقاً للرسول ﷺ عندما مَرّ على أقوام في

* هو طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مره بن كعب بن لؤي، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة،وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أمير المؤمنين أبي بكرﷺ ، وأحد الستةأصحاب الشورى الذين رشحهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ للخلافة عند مقتله ، قتل الصحابي الجليل طلحة ﷺ يوم الجمل سنة ٣٦ وله من العمر٦٤سنة رحمه الله ورضي عنه ، (أحمد محمد شاكر رحمه الله (مرجع سابق)) ، المسند ، شرح أحمد محمد شاكر ، ج٢ ، مسند أبي محمد طلحة بن عبيدالله ﷺ) .

(1) سنن ابن ماجه (مرجع سابق) : كتاب الرهون ، باب تلقيح النخل ، مج٢ ، ح٢٤٧١.

رؤوس النخل فسأل ﷺ : " ما يصنع هؤلاء ؟ " ، فكانت الإجابة منه ﷺ قد روى حديثاً عن تأبير النخل ولكن بلفظ فيه بعض الإختلاف عن الحديث الأول الذي رواه والذي أخرجه الإمام مسلم رحمه الله والحديث الثاني الذي رواه هوأيضاًوأخرجه الإمام أحمد أيضاً (انظر الحديث الأول والثاني في الفئة الأولى) .

وهذا الحديث ورد في المسند(١) بلفظ : " حدثنا عبدالرزاق ،أنبأنا اسرائيل، عن سماك أنه سمع موسى بن طلحة يحدث عن أبيه قال : "مررت مع النبي ﷺ في نخل المدينة ، فرأى أقواماً في رؤوس النخل يلقحون النخل ، فقال : " مايصنع هؤلاء ؟ " قال : يأخذون من الذكر فيحطون في الأنثى يلقحون به ، فقال :"مأظن ذلك يغني شيئاً " فبلغهم فتركوه ونزلوا عنها ، فلم تحمل تلك السنة شيئاً فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : " إنما هو الظن ظننته ، إن كان يغني شيئاً فاصنعوا ، فإنما أنا بشر مثلكم ، والظن يخطىء ويصيب ولكن ماقلت لكم قال الله – عز وجل – فلن أكذب على الله ".

ويدل ذلك على سياق الحديث ، إذ جاءت الإجابة بلفظه " قال " على خلاف ماجاء في الحديث الأول الذي روى عنه ﷺ والذي يخص الفئة الأولى من المزارعين إذ جاءت الإجابة بلفظة " قالوا " .

وعلى مايبدو هنا أن زمان ومكان حادثة تأبير النخل التي جاءت في هذا الحديث يختلفان عن زمان ومكان حادثة تأبير النخل التي جاءت في الحديث الأول والذي يخص الفئة الأولى وهي قوم من المزارعين ، وأن

---

(١) مسند الإمام أحمد (مرجع سابق) مج١ ، ح ١٤٠٣ .

الصحابي الجليل طلحة بن عبيدالله ﷺ كان مصاحباً لرسول الله ﷺ في كلتا الحادثتين ويدل على ذلك سياق الحديثين فألفاظ الحديث الأول تدل على فورية رده ﷺ عندما أخبر أن القوم من المزارعين قد نزلوا عن النخل وانتهوا عن تأبير النخل فقال مباشرة : " **إن كان ينفعهم فليصنعوه** " .

كما جاء في الحديث :

فأخبروا بذلك (أي المزارعين) فتركوه فأخبر رسول الله ﷺ فقال :

" **إن كان ينفعهم فليصنعوه ، ...** " .

في حين أن الحديث الذي نحن بصدده يشير إلى أن الرسول ﷺ قد مرَّ على أقوام (وليس بقوم) وأنه ﷺ عندما قال عن تأبير النخل : " **ما أظن ذلك يغني شيئاً** " ، ونُقِلَ هذا القول إلى هؤلاء الأقوام من المزارعين فتركوا تأبير النخل ، تُرِكوا على حالهم حتى ظهرت النتيجة ثم أخبر بذلك النبي ﷺ ولذلك يظهر لنا الإختلاف في رده ﷺ عن الحديث الأول ، إذ جاء في هذا الحديث لفظ " **فإنما أنا بشر مثلكم ، والظن يخطىء ويصيب** " ، في حين أن اللفظ الذي جاء في الحديث الأول قال فيه : " **فإني إنما ظننت ظناً، فلا تؤاخذوني بالظن** " والله أعلم .

ولعل إختيار المصطفى ﷺ لفظة الظن لحكمه كبيرة قد ندرك بعض جوانبها إن فكرنا وتأملنا في ذلك وسنوضح هذا الأمر بإذن الله فيما بعد ، أما الآن سنعرض الحديث الذي يدل عن الفئة الرابعة من المزارعين الذين تعامل معهم نبي الهدى صلوات ربي وسلامه عليه في عملية تأبير النخل بأسلوب مختلف عن الأسلوب الذي نهجه مع الفئات الثلاث.

الفئة الرابعة :

اشتملت هذه الفئة على قوم من المزارعين مرَّ عليهم المصطفى ﷺ وهم يلقحون النخل ، فنصحهم هو بنفسه ﷺ بعدم فعله حتى صار شيصاً ثم رجع إليهم بنفسه أيضاً ﷺ وسألهم عن حالة نخلهم ، إذ قال عندئذ قوله ﷺ المعروف عن العلم بأمر الدنيا ، ويدل على ذلك الحديث الذي جاء في صحيح الإمام مسلم(١) رحمه الله والذي قال فيه : " حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وعمرو الناقد كلاهما عن الأسود بن عامر قال أبو بكر حدثنا أسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وعن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ مرَّ بقوم يلقحون فقال : " لو لم تفعلوا لَصلُحَ " قال فخرج شيصاً فمر بهم فقال : "ما لنخلكم ؟ " قالوا : قلت كذا وكذا قال : " أنتم أعلم بأمر دنياكم " .

ولو رجعنا إلى جميع الأحاديث الخاصة بتأبير النخل فإننا لانجد فيها كلها أن الرسول ﷺ قد قال للقوم أو الأقوام من المزارعين الذين تركوا تأبير النخل " أنتم أعلم بأمر دنياكم " وإنما قال ذلك للمزارعين الذين خصهم بنفسه ﷺ بالزيارة وهم يقومون بتأبير النخل ثم خصهم بالزيارة عند وقت الحصاد فقال لهم ما قال : (أنتم أعلم بأمر دنياكم) .

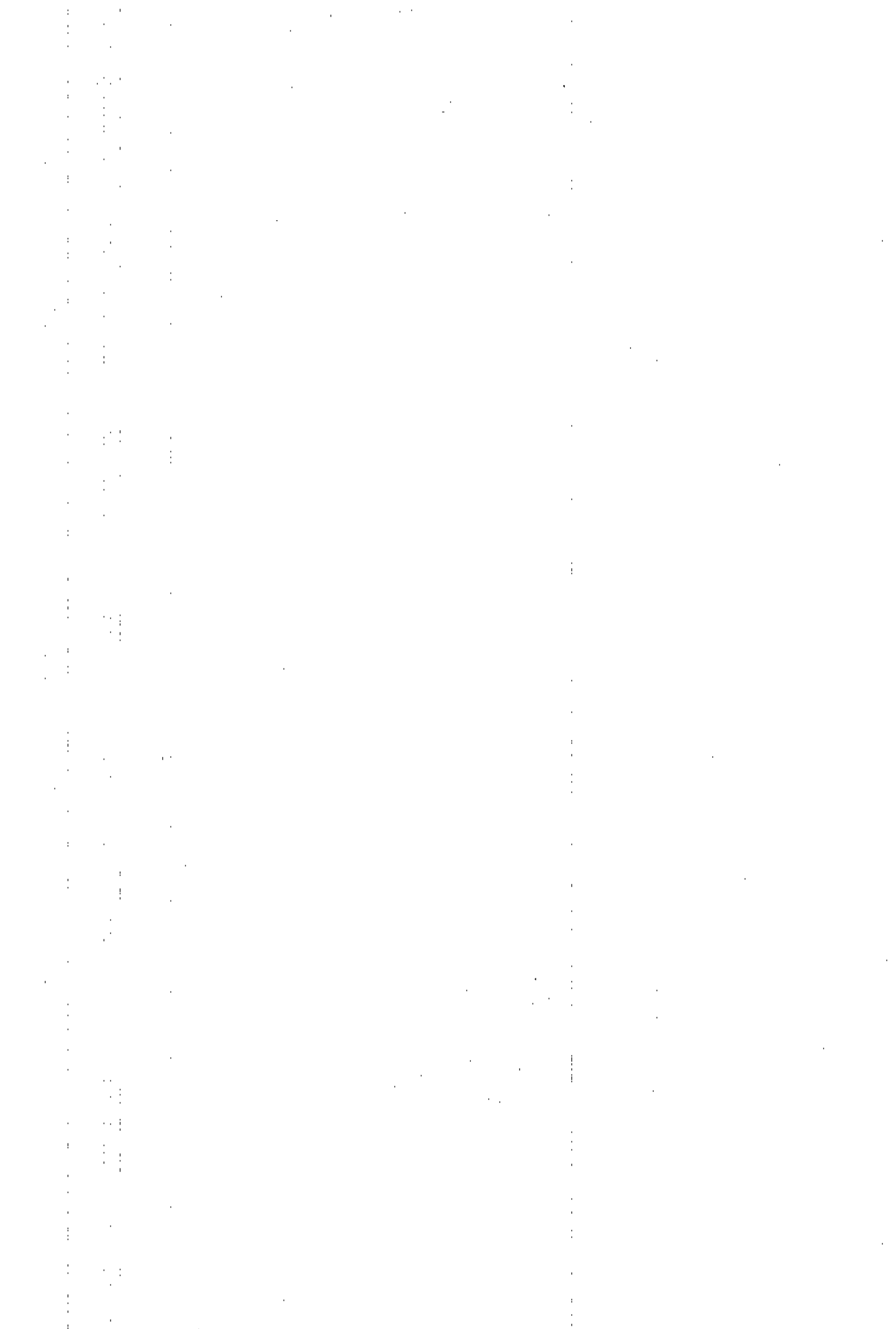
وعلى أية حال فقد أشرنا في المقدمة أن النبي ﷺ كان يعلم بخبرة المزارعين الطويلة بزراعة النخيل وباعهم الطويل في هذا الأمر ، بل إنه ﷺ كان يعلم دور تأبير النخل ونفعه في إصلاح الثمر وهذا ما تدل عليه الأحاديث إذ أنه سأل ﷺ عن دور تأبير النخل ، فأجابوه وأخبروه عن دوره ووظيفته ، وكان يعلم ﷺ أن أمر تأبير النخل أمر دنيوي تظهر نتائجه مباشره بالإيجابية

---

(١) صحيح مسلم شرح النووي (مرجع سابق) ج١٥ ، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً، دون ما ذكره ﷺ ص ١١٧ - ١١٨ .

أو السلبية بالفعل أو عدم الفعل ، وبالرغم من كل ذلك فقد قام الرسول ﷺ بالتحدث مع المزارعين بشأن تأبير النخل وإخبارهم بنفسه مباشرة أو عن طريق الصحابة بقوله فيه ، أو الذهاب إلى بعضهم بنفسه ليسألهم عن حالة الثمر بعد أن صار شيصاً وهو ﷺ على علم بذلك ، وذكرنا أن كل هذه الأمور تجعلنا ندرك بأن هناك أموراً خفية وحكمة من وراء هذا العمل ، فليس كل ماظهر من قولٍ أو فعلٍ للنبي ﷺ يدل مباشرة على ما يقصده منه ، وإنما هناك أمور في قوله أو عمله ﷺ قد تخفى على من تعامل معه ﷺ فلا يدرك مقصده مباشرة في حين ربما يفطن إلى ذلك غيره ويفقهه بسهولة .

فلنتدبر الآن ما كشفه العلم الحديث لنا عن وظيفة ودور تأبير النخيل ، وهل يمكن للنخيل أن تنتج ثمراً جيداً في حالة عدم تأبيرها ؟ .

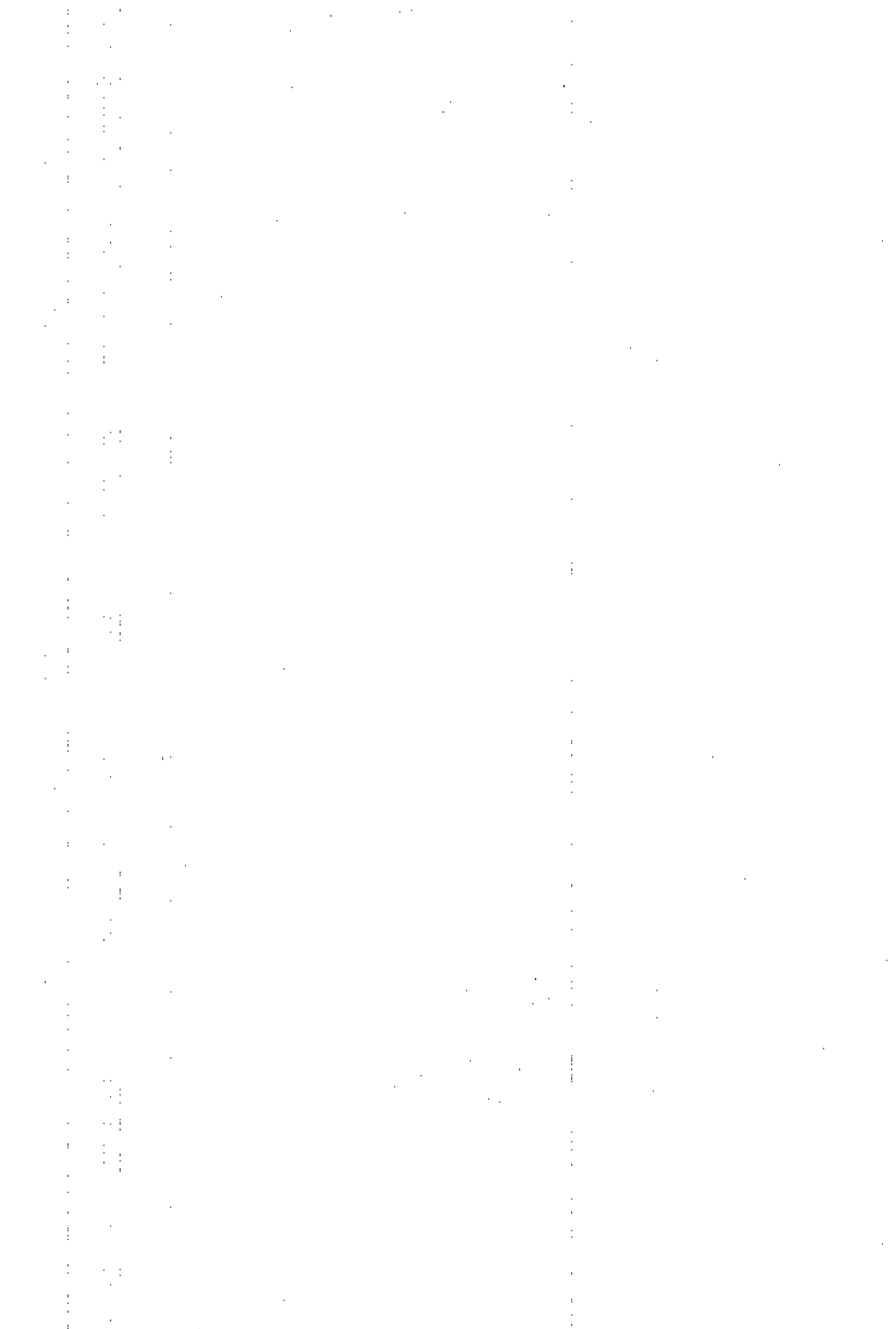


قال الله تعالى :

﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

سورة الرعد (آية ٤)





الفصل الرابع

التفكر والتدبر في أحاديث إيقاف تأبير النخيل

١- حكمة خفية ، ووجوهها .

٢- أنتم أعلم بأمر دنياكم .

٣- أمر زراعة النخيل وأمور الدنيا الأخرى .

٤- جوامع الكلم في أحاديث إيقاف تأبير النخيل .

الفصل الرابع
التفكر والتدبر في أحاديث إيقاف تأبير النخيل

حكمة خفية

كنا قد أشرنا في مقدمة هذا الكتاب أن النبي ﷺ كان يعرف خبرة المزارعين الطويلة في الزراعة وفي زراعة النخيل خاصة وباعهم الطويل في هذا المجال ، بل إنه ﷺ قد علِم دور التأبير ونفعه في إصلاح تمر النخيل وهذا ماتدل عليه الأحاديث ، إذ أنه سأل عن أمر التأبير فأجابوه وأخبروه عن دوره ووظيفته ، وكان يعلم ﷺ أن أمر التأبير أمر دنيوي تظهر نتائجه بالإيجابية أو السلبية بفعله أوعدم فعله ، وبالرغم من كل ذلك نرى أن الرسول ﷺ قد قال ماقاله عن التأبير ، بل ذهب إلى بعض المزارعين بنفسه فقال لهم: (لو لم تفعلوا لصلح) ثم أتاهم بعد أن صار شيصاً وقال ماقاله ﷺ عن أمر الدنيا كل هذه الأحداث تجعلنا على يقين بأن هناك حكمة من وراء هذا العمل لايمكننا أن ندركها كلها ، ولكن ربما تتكشف لنا أجزاء من هذه الحكمة مع مرور الزمان .

وبالتفكر والتدبر في أقوال المصطفى ﷺ في أحاديث إيقاف تأبير النخيل يظهر لنا جزء بسيط من هذه الحكمة الخفية وذلك من عدة وجوه وهي كالتالي :-

الوجه الأول : المقارنه بين حقيقة أمور الدنيا وحقيقة أمور الآخره

لو تدبرنا الأحاديث التي وردت في خصوص إيقاف تأبير النخل ، لوجدنا أن الوجه الأول والذي يُستشف مباشرة من هذه الوقائع هو إظهار

حقيقة أمور الدنيا وحقيقة أمور الآخرة ولنستعرض بعض ما قاله النبي ﷺ في هذا الشأن والتي وردت في الأحاديث المذكورة في الفصل الثالث فمن أقوال النبي ﷺ مايلي :

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد رحمه الله قال : قال النبي ﷺ " إن كان شيئاً من أمر دنياكم فشأنكم به ، وإذا كان شيئاً من أمر دينكم فإلي " .

وفي الحديث الذي أخرجه ابن ماجه قال : قال الرسول ﷺ على نحوه مع إختلاف في بعض الألفاظ : " إن كان شيئاً من أمر دنياكم فشأنكم به ، وإن كان من أمور دينكم فإلي " .

وجاء في الحديث الذي يخص الفئة الرابعة من المزارعين :

" أنتم أعلم بأمر دنياكم "

فإذا تأملنا فيما قاله الرسول ﷺ في هذه الأحاديث ندرك أنه أكد علينا فيها أنما قاله وأخبرنا عن الله عزوجل وعن أمور الآخرة فهي حقائق لا يجد الظن إليها أبداً أي طريق أو أي ثغرة فهي أمور قطعيه ، ولذا قال النبي ﷺ : " ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإني لن أكذب على الله عزوجل " .

الوجه الثاني : أسلوب علمي دقيق لإظهار أنواع النخيل

لو فكرنا قليلاً لأدركنا أن فعله ﷺ أوقوله ﷺ بشكل عام مع أي ناس لايخص هؤلاء الناس فحسب بل يشمل عامة المسلمين ، فهديه ﷺ ليس لأمة محددة ، ولا لزمان محدد ولا لمكان محدد بل يشمل كل الأمم والأزمنة

والأماكن ، وأحاديث التأبير هنا لاتخص المزارعين في ذلك الحين ولكنها موجهة لجميع الناس في وقت الرسول ﷺ وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

وقد مرَّ بنا في الفصل الثالث أن أحاديث التأبير لم تشمل قوماً واحداً وإنما شملت أقواماً من المزارعين فمنهم فئة رآهم الرسول ﷺ وهم يؤبرون النخل ولم يكلمهم ولكن قال لمن معه في التأبير (ما أظن يغني ذلك شيئاً فنقل لهم ذلك، فتركوه ، ولكنه على الفور أمر أن يُخبروا : إن كان ذلك ينفعهم فليصنعوه ....) ، وفئة ثانية لم يرهم الرسول ﷺ وهم يؤبرون النخل ولكن سمع أصوات تأبير النخل التي نشأت من خلال عملهم هذا ، فقال (لو لم يفعلوا لصلح) ، وفئة ثالثة رآهم الرسول ﷺ وهم يؤبرون النخل فسألهم (ماتصنعون ؟) فأجابوه .....

ولو تدبرنا في هذه الأحاديث لرأينا أن الرسول ﷺ كان يسأل في كل مرة مايصنع المزارعون وتأتي إجابة لتوضح وظيفة ودور التأبير وهذا يؤكد أن الرسول ﷺ كان على علم بدور التأبير ووظيفته ، ونكرر هنا ماذكرناه سابقاً بأن الرسول ﷺ كان يعرف خبرة وتجربة المزارعين الطويلة في زراعة النخيل وأنهم على علم ودراية بأحسن الوسائل التي تحسن إنتاج النخيل ، ومن هنا يظهر لنا أيضاً كما ذكرنا سابقاً أن وراء هذا حكمة خفية قد لا ندركها كلها ، غير أن خيراً لأولئك المزارعين ولعامة المسلمين قد حصل من خلال هذا العمل (انظر ص ٧٧ - ٧٨) .

وقد يطرأ على الذهن أسئلة وإستفسارات كيف بفعله ﷺ مع هؤلاء المزارعين ويكون الأمر خيراً لهم ولعامة المسلمين ؟ وسنجيب على ذلك ونقول : كأننا بعمل الرسول ﷺ مع مزارعي المدينة المنورة الذين ورثوا هذه

المهنة حتى أصبحت الفلاحة فيهم وزراعة النخيل عندهم كأنها عادة يمارسونها أباً عن جد ، كأننا نلمس - والله أعلم - أن رسول الله ﷺ أراد أن ينقل لكافة الناس تجربة هؤلاء المزارعين ، بل وحث الناس على التجربة والتطبيق فزراعة نخيل التمر لاتقتصر على منطقة المدينة المنورة فحسب بل تنتشر زراعتها في بقاع كثيرة من هذه الأرض .

وقد كانت في المدينة المنورة وحدها أصناف من التمور لاحصر لها منها مايحتاج إلى التأبير ومنها مالايحتاج إلى التأبير ، وسيمر بنا في الفصل الخامس أن التجارب والتطبيقات التي أجريت من قبل العلماء والباحثين دلت على أن حاجة النخيل للتأبير تختلف بإختلاف الصنف أو النوع، وتأكدت عدم حاجة بعض الأنواع للتأبير ، وإذا عدنا إلى المزارعين في المدينة المنورة في ذلك الوقت فلربما اعتادوا على تأبير جميع الأنواع من النخيل مما يهدر الوقت ويزيد من الجهد والعناء .

والرسول ﷺ بعثه الله رحمة للعالمين وجعله بالمؤمنين رءُوفاً رحيماً ، وكان نبي الهدى ﷺ يبحث دائماعن كل مايريح أصحابه وأمته ويشفق عليهم، ولقد قال القاضي عياض(١) رحمه الله في ذلك " وأما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد قال الله فيه ﴿ **عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رَءُوفٌ رحيم** ﴾* وقال تعالى ﴿ **وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ قال بعضهم من فضله ﷺ أن الله تعالى أعطاه إسمين من أسمائه فقال ﴿ **بالمؤمنين رءوف رحيم** ﴾".

(١) أبو الفضل عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ). الشفا بتعريف حقوق المصطفى (مرجع سابق) ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

* سورة التوبة آية ١٢٨ .

ولربما كان من شفقته ﷺ على هؤلاء المزارعين وسعياً لتوفير الوقت لهم وتقليص الجهد عليهم أن يعرف هؤلاء ماهي تلك الأنواع من النخيل التي لاتحتاج إلى تأبير حتى لايؤبروها حيث أنها لاتحتاج إلى ذلك ، فيضيع وقتهم سدى ويزداد عناءهم وجهدهم ، فالأنواع والأصناف كثيرة وربما وفدت إلى المدينة أنواع أخرى جديدة ودراسة حاجة هذه الأنواع إلى التأبير قد تأخذ وقتاً طويلاً وتتطلب خبرة عالية كي يتم تصنيف هذه الأنواع ، وكان لابد من تجربة حاسمة توفر على هؤلاء المزارعين وتوفر عليهم الوقت الكبير وتريحهم من عناء وجهد لاداعي له فكان من حكمته ﷺ أن أمر بعدم تأبير النخل في ذلك العام . وبهذا العمل والإجراء نرى أن رسول الهدى ﷺ قد سبق علماء هذا العصر في وضع المنهج العلمي التطبيقي الصحيح في الأبحاث التطبيقية ، والذي يبعد المؤثرات والعوامل التي تؤثر في سير البحث والدراسة ، فإيقاف جميع عمليات التأبير يعني إبعاد العوامل التي تسهم في نشر حبوب اللقاح إلى مسافات بعيدة بواسطة الرياح عن طريق الإنسان ، فالذي يؤبر نخلة عالية مثلاً من شأنه أن يسهم في نقل حبوب اللقاح إلى النخلة المجاورة لها إذ أن الرياح من شأنها أن تنقل جزءاً من الطلع المستخدم في تلقيح هذه النخلة إلى النخلة المجاورة فتؤبرها بطريق غير مباشر عن طريق الإنسان ، لذا فلابد من إستبعاد العوامل المؤثرة في هذا التطبيق ونجد أن العمل التطبيقي السريع الذي يُحدد الأنواع التي لاتحتاج إلى تأبير بواسطة الإنسان . هو إيقاف التأبير بشكل كلي ، فتظهر عندئذ هذه الأنواع بوضوح تام ، في حين أن الأنواع التي تحتاج إلى تأبير بشكل كبير فلن يعقد ثمرها وتكون شيصاً والأنواع المتوسطة ستكون بين بين .

وإذا رجعنا إلى أحاديث التابير ربما يطرأ على الذهن سؤالاً . إذ كيف يكون ذلك ولم نجد أثراً في الأحاديث مايدل إلى إنعقاد ثمار النخيل عامئذ ؟ .

ونجيب على هذا السؤال ونقول حتى الذين وجدوا بعض الأنـواع مـن نخليهم قد عقدت ثمارها فلربما لم يكن ذلك يلفت إنتباههم إليها إذ من المحتمـل أن جُل إهتمامهم وتفكيرهم كان منصباً على تلك النخلات التي لم تعقد ثمارهـا وأصبحت شيصاً ، فهم ربما اعتادوا أن يجنوا كل سنة الثمار من جميع أنـواع النخيل وليس من أنواع محددة ، فعدم إنعقاد ثمر بعض نخيلهم جعلهم يَشْكُون من هذا الأمر ، لأن غلتهم قد نقصت في ذلك العام فهل انتبهوا إلى تلك النخلات التي عقدت ثمارها دون تلقيح ؟ . والله أعلم .

وبعد أن ألقينا الضوء على الوجه الثاني من الحكمة التي تكشفت لنا من أحاديث التأبير ، يظهر لنا وجه آخر قد يخفى على كثير منا وهذا الوجه يتمثل في الحث على إجراء التجارب للكشف عن الحقائق العلمية .

الوجه الثالث : الحث على إجراء التجارب للكشف عن الحقائق العلمية

كنا قد ذكرنا سابقاً أن لفظ " **الظن** " الذي ورد في أحاديث إيقاف تأبير النخل له مغزىً علميّ يخص الأمور الدنيوية ، فهذه الأمور أغلبها ظنية ولا يمكن الخروج من دائرة الظن إلى دائرة اليقين إلا عن طريق التجربة ، بل إن معظم الحقائق العلمية التي كشف العلم النقاب عنها بدأت أولاً بالظن ، فالشيء الدنيوي الذي يُظن بحدوثه أو عدم حدوثه لا يمكن أن تُعْرَف حقيقته مالم نلجأ إلى التجربة والتطبيق ، ونتائج التجارب الصحيحة هي التي تدل هل حقيقة الظن إيجابية أم سلبية ، ويبقى أمر الظن فيما يخص أمور الحياة في هذه الدنيا معلقاً لايعرف صاحبه هل ظنه صحيحاً أم خطأ مالم يُخضع هذا الأمر الدنيوي للتجربة والتطبيق ، فغالب الإكتشافات العلمية والحقائق لم يعرفها الإنسان إلا بعد أن أخضع الأشياء التي يُظن بحدوثها للتجارب المعملية

فأساس كشف الحقائق إذاً يعتمد على الظن ، والتجربة هي المحك الذي يوضح هل هذا الظن صحيحاً أم خطأ .

فصدق من لاينطق عن الهوى ، أوَلَيس هو القائل في بعض أحاديث إيقاف تأبير النخل " وإن الظن يخطئ ويصيب " ؟ ، وحتى تتجلى حقيقة هذا القول للعالم بأسره ، كانت وقائع إيقاف تأبير النخل هي التجربة والتطبيق الذي عرف الناس من خلاله كيف كانت حصيلة النخيل المحبة للقاح ، في حين ربما لم ينتبه الناس إلى الجانب الآخر من نتائج هذه التجربة وهو الجانب الإيجابي المتمثل في معرفة تلك الأنواع من النخيل القنوعة باللقاح عن طريق الرياح والحشرات فتجربة إيقاف تأبير النخل وكما ذكرنا سابقاً غالباً أنها أظهرت هذه الأنواع غير أن نقص الحصيلة في ذلك العام ربما جعلهم لا ينظرون إلى تلك النخلات التي أنتجت ثمراً طيباً من غير تأبير .

وعليه نعتز ونفخر بأن المنهج العلمي الذي يتبعه علماء هذا العصر للكشف عن هذه الحقائق العلمية إنما سبقهم به رسول الهدى ﷺ ، فهو الذي أقر بأن أمور الدنيا لايقف على حقيقتها وواقعها إلا من يعمل ويمارس عمله على الأمر الدنيوي المعنى ، ويُخْضِع هذا الأمر للتجربة والتطبيق ، ولهذا فإننا نرى أن المصطفى ﷺ قد قال لمن خصَّ من المزارعين بالزيارة لَإيقاف تأبير النخل وخصهم بالزيارة بعد ذلك عند ظهور النتيجة " أنتم أعلم بأمر دنياكم " ولم نجد في أحاديث إيقاف تأبيرالنخل أنه قال هذا القول لغيرهم ولا لأمردنيوي آخروالله أعلم .

وعلى أية حال كأننا نستشف من أمر رسول الله ﷺ بإيقاف تأبير النخل أنه يحث الناس على التجربة والتطبيق في أمور المعاش ، فها نحن قد وقفنا من خلال هذه التجربة على نتائج متنوعة عرف الناس عن بعضها في

حينه ، وعرف الناس في هذا الوقت البعض الآخر ، وربما يعرف النـاس فـي المستقبل أكثر من ذلك ، فهلاّ جرّبنا وطبقنا التجارب على أشـياء أخـرى مـن أمور الحياة نظن بحدوثها كي نكشف هل حقيقة الظن إيجابية أم سلبية .

أنتم أعلم بأمر دنياكم

مره أخرى نعود إلى قوله ﷺ " أنتم أعلـم بـأمر دنيـاكم " فـالحديث الشريف الذي ورد فيه هذا القـول الشـريف وغـيره مـن أحـاديث إيقـاف تـأبير النخل جاءت وكما ذكرنا سابقاً لتؤكد أمريـن إثنيـن همـا : حقيقـة أمـر الآخـرة وحقيقة أمر الدنيا ، إضافة إلى ذلك فقد أشرنا إلـى أن أمـور الدنيـا يدخـل فـي كثير من شئونها الظن وأشرنا كذلك إلى أنه لا يمكن الخروج من دائرة الظـن إلى دائرة اليقين مالم نخضع الشيء الذي نظن فيه أو به للتجربـة والتطبيـق ، والنتائج التي تظهر إثر هذه التجربة هي التي تقطع الشـك بـاليقين وعليـه فـإن حقائق الأمور الدنيوية تبنى أساساً على الظن .

في حين يتأكد لنا أنا ما قاله الرسول ﷺ وما أخبرنا به عن اللـه عـز وجل وعن أمور الآخرة أنها حقائق لا يجد الظن إليهـا ، أبـداً ، أي طريـق أو أي ثغره فهي أمور قطعية ولهذا قال الحبيب المصطفى ﷺ : " إن كان أمـر دنياكم فشأنكم به ، وإن كان من أمـور دينكـم فـإلي " فهل تدبرنـا هذا القول ؟ .. إذ كأننا بقول الرسول ﷺ " فشأنكم بـه " نجـد مـا يحثنـا علـى أن نأخذ بالتجارب المشروعة والدراسـات اللازمـة لأمـور الدنيـا حتـى تظهـر لنـا الطرق والوسائل المثلـى التـي تجعلنـا نكسـب الحصيلـة الجيـدة الطيبـة والغلـة الكبيرة بأقل جهد وأبسط عمل .

ومن منظور آخر فقد يغالي البعض ويتشدد في التعامل مع شتى أمور الحياة الجديدة المباحة ، والرسول ﷺ المبعوث رحمة للعالمين قد قطع الطريق على من يريد أن يغالي في المعاملات الدنيوية المباحة ، فالذي لايحب أن يتعامل مثلاً مع شيء مباح مالم يجد له نصاً صريحاً في أقوال المصطفى ﷺ يدل على كيفية استخدامه ، ولايريد أن يأكل شيئاً مباحاً مالم يجد اسمه في أحاديث المصطفى ﷺ ، يجد في قول الرسول ﷺ : " **إن كان من أمر دنياكم فشأنكم به** " ما يستوعب ذلك ، فرأفة منه ﷺ ورحمة بعباد الله قال لنا هذا القول الشريف ، فقال عن أمور الدنيا فشأنكم بها ولكن في الوقت نفسه أكد لنا أن ماقاله عن الله سبحانه وتعالى وما قاله عن أمورالآخرة أنه ليس لنا فيها أي شأن فهي أمور وحقائق قطعية لا ظن فيها .

أمر زراعة النخيل وأمور الدنيا الأخرى :

وحتى لا نخرج عن نطاق أو دائرة الإرتباط بالحبيب المصطفى ﷺ في أمور الدنيا الأخرى التي أخبر عنها في أحاديث أخرى ، إذ هي حقائق لاريب فيها كان قول المصطفى ﷺ عندما ظهرت نتيجة عدم تأبير النخل لتلك المجموعة المحدده من المزارعين وليس لكل المزارعين " **أنتم أعلم بأمر دنياكم** " ، ولم يقل لهم أنتم أعلم بأمور دنياكم ، فأمر الدنيا الذي قاله الرسول ﷺ لأولئك المزارعين أنتم أعلم به هو خبرتهم ودرايتهم بزراعة النخيل ولم تشمل الأمور الدنيوية الأخرى التي أخبرنا عنها ، فالرسول ﷺ قد أخبرنا عن أمور كثيرة من أمورالدنيا في مجال الطب وفي مجال علوم الأرض والعلوم الأخرى وكل ماقاله صدق وحقيقة يشمل معجزات تدل على صدق نبوته ورسالته .

غير أن بعض الناس خاصة أولـــئك الذين وجـدوا فـي الطـب النبـوي أن بعضها في ظاهره التناقص مثل أحاديث العدوى والجذام وأحـاديث العسـل .... مما حدا بهم إلى إنكار أحاديث المصطفى ﷺ ، وإرجاع ذلك إلى أن هـذه الأمور هي من أمور الدنيا العادية وقد قـال عليـه الصـلاة والسـلام : " أنتـم أعلم بأمر دنياكم " .

ولقد ردَّ على مثل هؤلاء الدكتور / محمد علي البار(١) في كتابـه هل هناك طب نبوي ، وذكر أن التناقض الـذي يبـدو فـي بعـض الأمـور الدنيويـة التي حدَّث عنها المصطفى ﷺ هو تناقض ظاهري سببه عـدم فهمهـم وعلمهـم بأسباب المرض المعدي على سبيل المثال وكيفية تفاعل الجسم معه والأحاديث التي وردت في هذه الأمور الدنيوية على عكس ما فهموه منها إذ هي قمة مـن الإعجاز العلمي الباهر .

وكنا قد ذكرنـا فـي كتـاب الإعجـاز العلمـي(٢) أنـه مـن خـلال العمـل والتطبيق فـي الأمـور الدنيويـــة قد تظهر نتيجة ربما تتعارض أو تتصادم مـع آية في كتاب الله أو حديث للنبي ﷺ هذا التعارض هو تعارض وهمـــي ، أو ربما ينتج هذا التعارض من الإنسان نفسه. وقد ضربنا لذلك مثالاً عند العـلاج بالعسل في حالة مرض السكر، وذكرنا أن مثل هذا التعارض ينتج من التغيير في الفطره السليمة في الأشياء أو مـا أطلقنـا عليـه اسـم " الدخيـل علـى فطـرة التغذية والتخليق" ومضمون ذلك أن كل شيء حي،وغيرحي، في هـذا الوجود

---

(١) محمد علي البار ، هل هنـاك طـب نبــوي ، ط١ ، جده ، المملكة العربية السعودية " دار السعودية للنشر والتوزيع " ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، ص١٠ .

(٢) وجوه متنوعة من الإعجاز العلمـي فـي القـرآن والسنـة لعبدالبديـع حمزه زللـي (مرجع سابق) ، الدخيل على فطره التغذية والتخليق .

يتخلق أو يتكــون حسب فطــرة سليمة أوجدها المولى سبحانه وتعالى في هــذه الأشياء ، فعلى سيبل المثال يتغذى كل نبات وكــل حيـوان حســب هـذه الفطــرة السليمة .

ونلاحظ في الطب النبوي هدياً يدلنا على اســتخدام أو اســتعمال أشـياء معينه حيه أو غير حيه للإستشفاء بها ، وفيها بإذن الله تعــالى وقدرتـه الشـفاء والإنتفاع بها ، ولهذا فلابد لنا أن نستخدم أو نستعمل هذه الأشــياء بعـد تخلقهـا حسب الفطره السليمة ، غير أن تدخــل الإنســان فـي تغيير فطـره تخليـق هـذه الأشياء وتكوينها يؤدي إلى فقد أو نقص في الأثر النافع المرجو من جميع هذه الأشياء ، فإذا حدث ما لايرجوه الإنسان فعليه أن يعزو ذلك إلى التغيير الـذي أحدثه هو في هذه الفطرة السليمة ، و إلا فإن الأصل في النتائج المرجــوه مـن استخدام هذه الأشياء هــو النفع والإستفــاده ، ولقــد
استشهدنا بالإستشفاء بالعسل وعرفنا أنه لايوجد تصادم أو تعـارض حتـى مـع أولـــئك المرضى الذين يعانون من مرض الســكر وفَصَّلنــا فـي ذلـك ومراعـاة لعدم التكرار نشير فقط إلى سبب ما يظهر من تعارض وهمي عند الإستشـفاء بالعسل لمرضى السكر خاصة ، ونقول إن هذا يعود إلـى تغيـير فطـرة تغذيـة النحل ، وإلا فالعسل الفطري قد أثبتت التجارب والأبحاث العلمية الحديثـة أنـه يفيد لكل الأنواع من الأمراض حتى بالنسبة لمرضى السكر .

جوامع الكلم في أحاديث إيقاف التأبير :

ونعـود الآن إلـى أحـاديث إيقـاف تـأبير النخيـل كـي نلقـي الضوءعلـى الإعجاز في أقوال المصطفى ﷺ ، ونتدبر في هذه الأقـوال المعجـزه الجامعـة التي قالها ﷺ عندما طلب إيقاف التأبير ، وكان مظهر أقواله في ذلك يفهم منهـا مباشرة أنها تخص النخيل وثمر النخيل فقط في حين أنها تتجـاوز ذلـك بكثـير

لأن من وراء إيقاف تأبير النخل حكمه لم يدركها الناس آنذاك ولن ندركها كلها والمولى سبحانه وتعالى قد يجلّي لنا من وقت لآخر جزءاً من هذه الحكمة فتكون أقواله ﷺ آية على نبوته ورسالته على مدى السنين والأعوام . والمولى سبحانه وتعالى أعطى الرسول ﷺ آيات كثيرة تدل على صدق نبوته ورسالته ومنها ما خصه المولى سبحانه بجوامع الكلم ، فقد ورد في صحيح الإمام البخاري (١) رحمه الله أن النبي ﷺ قال : " **بعثت بجوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، فبينا أنا نائم أوتيت مفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي** "، وفي أحاديث أخرى (٢) قال فيها المصطفى ﷺ " **أعطيت جوامع الكلم** " . والمتأمل في أحاديث إيقاف تأبير النخل يجد أن أقواله ﷺ كانت جامعة وشاملة .

وسبق أن ذكرنا أن المصطفى ﷺ كان مدركاً وعالماً بوظيفة ودور تأبير النخل ، وكان والله أعلم على علم بأن الناس سيأتون إليه عندما تظهر نتائج عدم التأبير ، غير أن المصطفى ﷺ لايأمر بشيء أو ينهى عن شيء إلا وفيه خير وصلاح لعامة المسلمين فلننظر إلى أقواله ﷺ في أحاديث إيقاف تأبير النخل :

---

(١) فتح الباري لابن حجر (مرجع سابق) ، مج٦ ، كتاب الجهاد ، باب قول النبي ﷺ " نصرت بالرعب مسيرة شهر " ، (باب ١٢٢) حديث رقم ٢٩٧٧، وورد الحديث أيضاً في سنن النسائي ، أبو عبدالرحمن أحمد النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي : القاهرة ، دار الحديث ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ج٦ ، كتاب الجهاد ، باب وجوب الجهاد .

(٢) المرجع نفسه (فتح الباري ، مج ١٢ ، كتاب التعبير ، باب رؤيا الليل ، باب ١١ ، حديث رقم ٦٩٩٨ ، وورد الحديث نفسه في صحيح مسلم في كتاب المساجد ، وفي جامع الترمذي في كتاب السنن ، وفي مسند ابن حنبل مج٢ ، حديث رقم ٧٦٥٠ .

في الحديث الذي ورد في صحيح الإمام مسلم والذي ذكرناه فيما يخص الفئة الثانية من المزارعين (انظر الحديث ص ٥٤ ، ٥٥) نجد أن المصطفى ﷺ عندما طلب منهم إيقاف تأبير النخل لم يقل لهم إن النتيجة ستكون خيراً لتمركم ، ولكنه قال ﷺ : "لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً"، وكان من المنطقي أن يفهم من خلال هذه الوقائع أن الخيرية تتعلق بالنخل وثمره لكن الحبيب المصطفى ﷺ المبعوث بجوامع الكلم والذي لاينطق عن الهوى كان يريد الخير ليس للمزارعين فحسب ولكن لعامة المسلمين ، إذ بهؤلاء المزارعين وضح الرسول ﷺ لجميع الناس حقيقة أمر الآخرة وحقيقة أمر الدنيا وكان خيراً لعامة المسلمين فعرفوا من هذه الأحاديث مشروعية الأخذ بالتجارب والدراسات اللازمة المباحة في أمور الحياة (انظر ص ٧٠) . كانت نتيجة عدم تأبير النخل في ذلك العام أن أعطت حصيلة ضعيفة غير مرضية لكنها كانت خيراً لأولئك المزارعين فهم الذين امتثلوا لأمر الحبيب المصطفى ﷺ بل وسارعوا رضوان الله تعالى عليهم في إمتثال أمره حتى فيما خالف علمهم السابق وهم الذين واجهتهم مصيبة نقصان الغلة عام ذاك ، كل هذه الأمور في الإسلام جعل الله فيها خيراً كثيراً من الأجر والثواب في الآخرة .

فهل هناك خيراً أعظم من خير الآخرة ؟

ومن هنا يظهر لنا الإعجاز في قول المصطفى ﷺ الجامع " **لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً** " فلفظ الخير هنا جمع وشمل المزارعين وعامة المسلمين .

ومرة أخرى يتأكد لنا أن المصطفى ﷺ لم يُشِرْ إشارة مباشرة إلى صلاح التمر ، في وقائع إيقاف تأبير النخل فلفظ الصلاح الذي ورد في

الأحاديث لم يدل بصورة مباشرة على النخل والتمر ، ففي الحديث الـذي جـاء في مسند الإمام أحمد ، وفي سنن ابن ماجه (انظـر الحديث ص ٥٣ ، ٥٦) قال الرسول ﷺ " **لو لم يفعلوا لصلح** "، فهل قال لو لم يفعلوا لصلح نخلكم؟ أو لصلح تمركم ؟ .

نعم إنه لم يصلح غالب التمر آنذاك ولكن صلح أمـر المسلمين عامـة بما فيهم المزارعين إن فهمـوا وأدركـوا المضمـون مـن إيقـاف تـأبير النخـل ، ولنتدبر الآن قول المصطفى ﷺ " **فلا تؤاخذوني بالظن** " .

فلا تؤاخذوني بالظن :

دعونا نتدبر بتأمل قول المصطفى ﷺ مع الفئه الأولى من المزارعيـن الذين نُقِلَ لهم قوله في تأبير النخل فتركوه ، ولكـن عندمـا أُخـبر الرسـول ﷺ أنهم تركـوا تـأبير النخـل ، قــال لهـم مباشـرة : " **إن كــان ينفعهـم ذلــك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن** " .

فهل قـال المصطفـى ﷺ لا تـؤاخـذوني بما ظننته ؟ ، أم جعـل لفــظ " الظن " مبهماً لايدل علـى مصـدر الظَّـانِّ ممـا جعـل جملـه " فـلا تؤاخذونـي بالظن " ذات معنيين إثنين هما كما يلي : -

المعنى الأول : وهو الذي يفهمه كثير من النـاس مـن غـير تدبـرٍ ولا تأمل - وحريٌّ أن لاينطبق هذا المعنــى علـى رسـول اللـه ﷺ - إذ منهـم مـن يفهمه بمعنى لا تؤاخذني بما ظننته أو لا تؤاخذني بظني .

وهل يُظن رسول الهدى والمبعوث رحمة للعالمين والسـاعي إلـى كـل خير وصلاح لجميع أمته إلا حقاً فهو الذي لاينطق عن الهوى وإنما هو وحـي يوحى ؟ .

ولقد ذكر القاضي عياض (١) أن من معجزات المصطفى ﷺ الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم وخصَّه به من الإطِّلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته بأمور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح أمته . ونؤكد هنا مرة أخرى ونقول إن رسول الله ﷺ كان على علم بوظيفة تأبير النخل ودوره الفعَّال خاصة لأنواع النخل التي تحب اللقاح ، وكان يكفي أن ندرك هذا عندما نتأمل في أمره ﷺ للفئة الأولى من المزارعين حالما أُخْبِرَ بأنهم تركوا تأبير النخل فقال: "**إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه**".

ويدل هذا القول على أن الرسول ﷺ عَلِمَ بنفع تأبير النخل ، وعلمه ﷺ لمنفعة تأبير النخل لايمكن أن نسنده فقط إلى إخبار الناس له به ، فالرسول ﷺ كان يوحى إليه ويعلِّمه ربه فيعلم من أمر الدنيا ما لايعلمه الناس ، وقد علمنا أن رسول الله ﷺ كان لا يقول إلا حقاً ، وأما ما تعارض بصورة وهمية من خلال عدم النفع بإيقاف تأبير النخل ، فلم يدرك غالب الناس الحكمة من ذلك لأن الأصل في ذلك النفع والمصلحة ، وعن مثل هذا قال القاضي عياض رحمه الله : -

" فأما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه ﷺ في الأمور الدنيوية لاسيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره ، وكما روى من ممازحته ودعابته لبسط أمته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيداً في تحبيبهم ومسرهِ نفوسهم كقوله ﷺ : "لأحملنك على ابن الناقة"، وقوله ﷺ : للمرأة التي سألته عن زوجها: " أهو الذي بعينه بياض ؟ " وهذا كله صدق لأن كُلَّ جمل ابن ناقة وكُلُّ

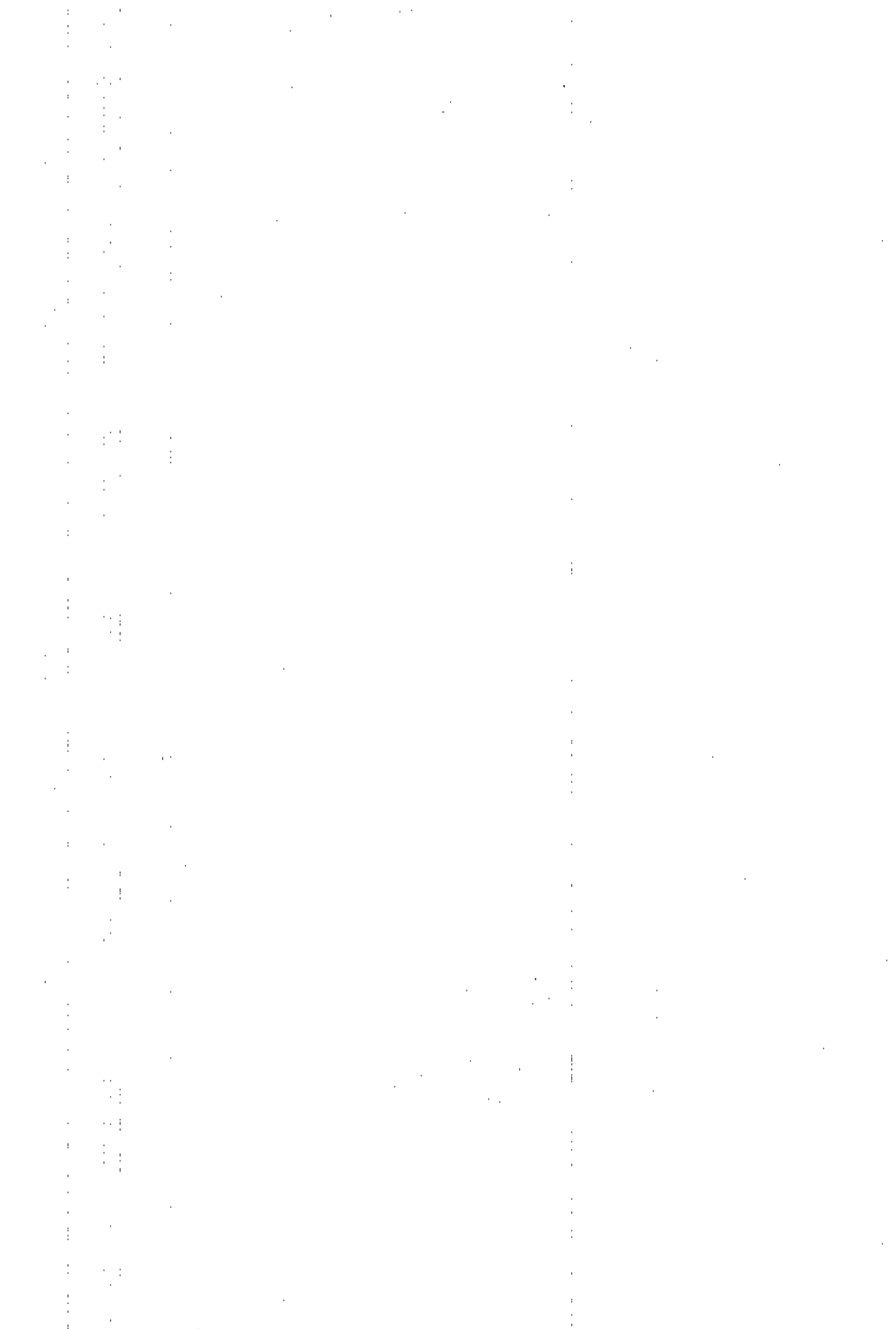
(١) الشفا للقاضي عياض (مرجع سابق) ج١ ، باب فيما أظهره الله على يده من المعجزات ، فصل ومن معجزاته الباهرة ص ٣٥٤ .

إنسان بعينه بياض .... " ، فإذا كنا لا ندرك ماالحكمة في أمره ﷺ لإيقاف تأبير النخل فلا يحق لنا أن نتخيل أنه ﷺ غير صحيح ولا يحق لإمرئ أن يَسْتَرِب في تنزيه النبي ﷺ عن هذا الظاهر ، فقد عرفنا الآن أن النفع والمصلحه كانت لأولئك المزارعين ولعامة المسلمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها على خلاف الظاهر الوهمي ، إذ من الواجب أن نتأدب مع الرسول ﷺ في كل الأمور (١) .

<u>**المعنى الثاني**</u> : أما المعنى الثاني الذي يُفهم من القول " **لا تؤاخذوني بالظن** " يعني أن لا تؤاخذوني بظنكم أو بما ظننتم ، وهو الذي نميل إليه فالظاهر للناس كنتيجة لإيقاف تأبير النخل عدم النفع والمصلحة ، إذ ربما يهيء هذا الظاهر طريقاً للظن في عقول الناس فيخيل لهم أن الرسول ﷺ كان لايعلم بنفع تأبير النخل ، وإيقافه تأبير النخل ربما سبَّبَ عدم النفع ، في حين أن الهادي البشير والسراج المنير أراد النفع والمصلحة لكل الناس ولعامة المسلمين غير أننا لانعرف إلا الجزء اليسير من هذا النفع وقد يهيء المولى سبحانه وتعالى الفرصة إنسان آخر ويفتح الله عليه ويكشف لنا جوانب أخرى من هذا النفع، ولذا وجب على كل مسلم أن لايؤاخذ رسول الهدى صلوات ربي وسلامه عليه بما يظنه خطئاً في قوله ، فالمصطفى ﷺ منزه من هذه الأخطاء ، وحتى لا نقع في دائرة هذا الظن الآثم فقد نهانا ﷺ أن نؤاخذه بالظن .

ولننظر كيف أظهرت وقائع إيقاف تأبير النخل للعالم بأسره ، الأساس الأول للكشف عن الحقائق العلمية ومعرفتها بكل دقة ، فأضافت هذه الوقائع منفعة أخرى على تلك المنافع التي ذكرناها والتي شملت جميع الناس .

(١) انظر على سبيل المثال كتاب : عبدالبديع حمزه زللي ، لنتأدب مع النبي الأمي ﷺ ط١، ١٤١٥هـ .



قال الله تعالى :

﴿ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ ﴾

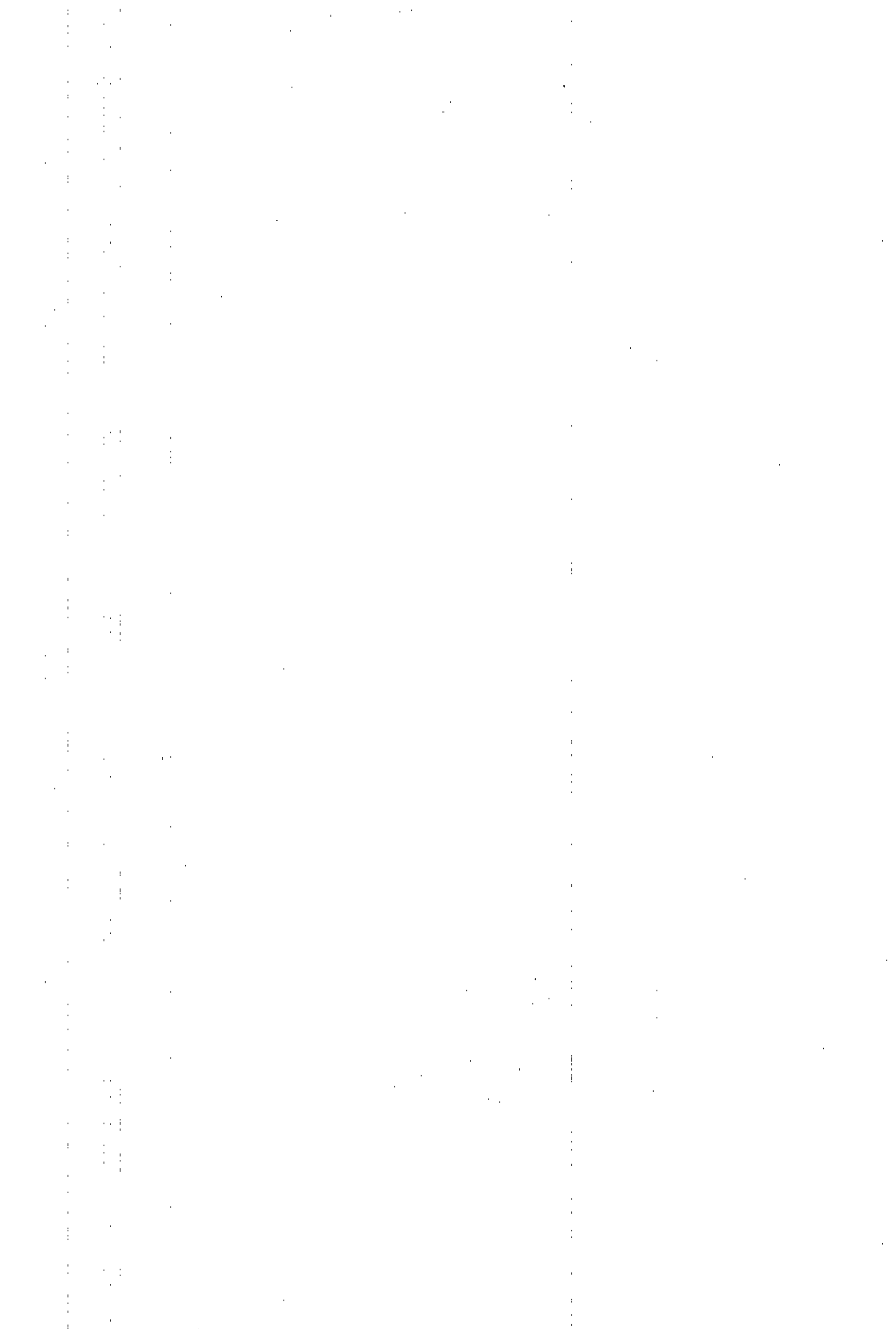
سورة الرحمن (آية ١١)

وقال تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾

سورة الأنعام (آية ٩٩)





الفصل الخامس

ماذا كشف العلم الحديث عن تأبير النخيل

١- معنى التأبير في اللغة .

٢- معنى التأبير علمياً .

٣- ماهي الأعضاء الجنسية في النباتات .

٤- ماهي وسائل التلقيح .

٥- أي أنواع التلقيح (التأبير) يصلح لنخيل التمر

٦- كيف تنتج النخلة ثمراً طيباً بدون تأبير

الفصل الخامس
ماذا كشف العلم الحديث عن تأبير النخيل

معنى التأبير في اللغة :

جاء في لسان العرب (١) أَبَرَ النخل والزرع يأبُره ويأبِرهُ أبْراً وإباراً وإبارة وأبَّره أي أصلحه ، وأبرت فلاناً أي سألته أن يأبر نخلك ، وكذلك في الزرع إذا سألته أن يصلحه لك . **وتأبير النخل تلقيحه** يقال نخله مُؤَبَّره مثل مأبورة، والإسم منه الإبار على وزن الإزار ويقال تأبر الفسيل إذا قبل الإبار.

وقد ذكر الشيخ حليت المسلم (٢) أن تلقيح النخل ، أو تأبيره ، أو تذكيره هي ثلاثة أسماء لعملية واحده تعني وضع طلع الفحل من النخل في أكمام إناثه ، غير أن كل إسم من هذه الأسماء يستخدم في جهة معينة من المناطق التي ينتشر فيها زراعة النخيل ، فأهل المدينة ومن حولهم من القرى يقولون التأبير – إذ نجد هذا اللفظ مستخدماً في أحاديث التأبير – ، وأهل القصيم يستخدمون لفظ التلقيح ، وقد ورد هذا اللفظ أيضاً في أحاديث التأبير – وأهل الجنوب يستعملون لفظ التذكير.

---

(١) لسان العرب لابن منظور (مرجع سابق) ، مج٤ ، مادة أبرّ .

(٢) حليت بن عبدالله المسلم : النخيل بين العلم والتجرية ، ط١ .

معنى التأبير علمياً :

نقصد بعلمياً ما كشفته الدراسات والأبحاث العلمية التجريبية عن دور وظيفة التأبير او التلقيح .

كشف لنا العلم الحديث أن جميع النباتات الزهرية الراقية * تحتوي على أعضاء جنسيه مؤنثة وأخرى مذكرة ، وأن الثمار لايمكن أن تتكون إلا بعد أن يُلقح العضو الجنسي الأنثوي (البيضة) بأحد حبوب اللقاح التي تنتجها الأعضاء الجنسية الذكرية .

لم يكن أحداً يعرف أن جميع النباتات الزهرية الراقية * تتألف من ذكر وأنثى سوى أشجار نخل التمر وربما بعض النباتات الأخري وحتى بالنسبة للنخيل فلم يكن أحداً يدرك أيضاً ما حقيقة الذكورة والأنوثة في هذه

---

* النباتات الزهرية الراقية : مصطلح علمي في علم النبات يدل على جميع الأشجار بما فيها النخيل والشجيرات والأعشاب التي تنتج البذور،ولذلك تسمى هذه النباتات بالنباتات البذرية.ولا تتمثل في جميع هذه النباتات الأزهارالتي نعرفها بشكل المعهود ذات الأشكال الجميلة وذات الأوراق الملونة بالألوان الزاهية الجذابة ، إذ ينتج كثير من النباتات مثل النخيل، ونباتات القمح والشعير... أزهاراً لا تتمثل فيها عناصر الجمال وهي غير ملونة،ولا تظهر فيها الأزهار بالشكل المعروف مما يجعل عامة الناس لا تتخيل بأن النخيل من النباتات الزهرية ، وقد استبدل مصطلح النباتات الزهرية بمصطلح جديد ينسجم مع وظيفة الأزهار ودورها فهي وكما عرفنا هي الأعضاء الجنسية في النباتات ، ولذلك سميت جميع النباتات الزهرية بالنباتات النطفية Spermatophyta ، وهي تشمل جميع النباتات الحاملة للبذور، إذ تنتج هذه النباتات حبوب اللقاح التي تناظر النطاف في دورها ووظيفتها ومن هنا جاء هذا الإسم .

الأشجار وهل هذه الأشجار هي حقاً تتألف من ذكور وإناث ؟ لكن نرى أن القرآن العظيم قد أشار إلى ذلك قبل أن يكتشف هذه الحقيقة العلماء ونجد الإشارة إلى هذه الحقيقة في كتاب الله في سورة الرعد آية ٣، إذ يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ﴾ .

إذ إن الثمرات هي في الأصل الأعضاء الجنسية الأنوثية للنبات بعد أن يكون قد تم تلقيحها مما أنتجته الأعضاء الجنسية الذكرية .

لم يعرف الناس حقيقة الأزهار التي تنتجها النباتات وما دورها ووظيفتها، لكن علماء هذا العصر قد وقفوا على حقيقة هذه الأزهار بكل جلاء وعرفوا مما تتركب وكيف تتركب عن طريق تشريحها وفحصها وإجراء التجارب والتطبيقات وعرفوا أن الأزهار هي الأعضاء الجنسية للنباتات فمنها الذكر ومنها الأنثى ومنها الخنثى وهي أصل الثمرات .

إن علماء التفسير رحمهم الله قد ألقوا الضوء على إعجاز هذه الآية من جانب واحد فقط إذ لم يكونوا يعرفون في ذلك الزمان الحقائق التي تدل على معنى " زوجين اثنين " في عالم النبات على الرغم من الإشارة إلى هذا المعنى واضحة بشكل جلي في كتاب الله ، وسوف نبين هذه الإشارة فيما بعد ... لذا فقد قال ابن كثير رحمه الله (١) عن تفسير قوله سبحانه وتعالى ﴿ ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ﴾ ، " أي جعل فيها من الثمرات المختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح ﴿ ومن كل زوجين اثنين ﴾ ، أي من كل شكل صنفان " .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (مرجع سابق) ، مج٢، ص ٥١٨ .

ونجد أن الزجاج (١) رحمه الله قد قرب من معنى الزوجين لكنه لم يستطع أن يكشف عن حقيقة الزوجين في النباتات كلها لأن أحداً لم يكن يعرف ذلك في ذاك الحين فقال عن معنى ﴿ ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ﴾ أي جعل فيها نوعين ، والزوج الواحد الذي ليس له قرين .

وقال الزمخشري (٢) رحمه الله في الكشاف في تفسير هذه الآية أي " خلق فيها (أي الأرض) من جميع أنواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت ، وقيل أراد بالزوجين الأسود والأبيض ، والحلو والحامض ، والصغير والكبير ، وما أشبه ذلك من الأصناف المختلفة " .

أما الرازي (٣) رحمه الله فقد فصّل أكثر في تفسير هذه الآية إذ بَيَّنَ أن المولى سبحانه وتعالى قد ذكر في القرآن ما يدل على صحة التوحيد والمعاد وأن هناك أنواع من الدلائل وذكر أن هذه الآية الكريمة تشير إلى نوع ثالث من الدلائل المذكورة فهي تشتمل على الإستدلال بعجائب خلقه النبات وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين إثنين﴾ وذكر أن في ذلك مسائل وذكر أن المسألة الأولى تدل على " أن الحبه إذا وضعت في الأرض وأثرت فيها نداوه الأرض ، ربت وكبرت ، وبسبب ذلك

---

(١) أبواسحاق إبراهيم السري الزجاج (ت ٣١١ هـ) معاني القرآن وإعرابه تحقيق وشرح عبدالجليل عبده شلبي، ط١، بيروت:عالم الكتاب،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ،مج٣،ص ١٣٧.

(٢) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧ – ٥٣٨هـ) ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،بيروت: دار المعرفة مج٢ص٢٧٩.

(٣) فخر الدين الرازي (٥٤٤-٦٠٤هـ) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ط١، بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٠هـ ج١٩، ص ٥ – ٦ .

ينشق أعلاها وأسفلها فيخرج من الشق الأعلى الشجرة الصاعده في الهواء ويخرج من الشق الأسفل العروق الغائصة في أسفل الأرض ، وهذه من العجائب ، لأن طبيعه تلك الحبه واحده ، وتأثير الطبائع والأفلاك والكواكب فيها واحد ثم إنه خرج من الجانب الأعلى من تلك الحبه جرم صاعد إلى الهواء ، ومن الجانب الأسفل منه جرم غائص في الأرض ومن المحال أن يتولد من الطبيعة الواحده طبيعتان متضادتان ، فعلمنا أن ذلك إنما بسبب تدبير المدبِّر الحكيم والمقدِّر القديم ، لابسبب الطبع والخاصية .... " .

ثم ذكر أن المسألة الثانية تدل على أن المراد بالزوجين صنفين إثنين والإختلاف إما من حيث الطعم كالحلو والحامض ، أو الطبيعة الحارة كالحار والبارد ، أو اللون كالأبيض والأسود .

ثم أدرك الرازي أن الزوجان لابد وأن يكونا اثنين وأن ذلك يعني الذكر والأنثى ، لكن عدم معرفة الناس آنذاك بأن جميع النباتات تحتوي على الأعضاء المذكرة والمؤنثة لم يجعله يدرك ذلك بوضوح ولذلك فسر قوله تعالى : ﴿ زوجين اثنين ﴾ وقال : " قيل أنه تعالى أول ما خلق العالم وخلق فيه الأشجار ، خلق من كل نوع من الأنواع اثنين فقط ، فلو قال : خلق زوجين ، لم يعلم أن المراد النوع أو الشخص . أما لما قال إثنين علمنا أن الله تعالى أول ما خلق من كل زوجين اثنين لاأقل ولا أزيد ، والحاصل أن الناس فيهم الآن كثره ، إلا أنهم لما ابتدؤا من زوجين اثنين بالشخص هما آدم وحواء، فكذلك القول في جميع الأشجار والزرع والله أعلم " .

ولا نريد أن نسترسل فيما قاله العلماء رحمهم الله عن قوله تعالى: ﴿ ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ﴾ فكل ما قالوه ينسجم ويتوافق معها ، لكن الحقائق العلمية التي كشفها علماء هذا العصر جاءت أكثر انسجاماً وتوافقاً مع هذه الآية بل إنها متطابقة معها بكل أبعادها فعرف

الإنسان أن الثمار جميعها التي تنتجها كل النباتات تتركب أصلاً من زوجين اثنين وأن هذه الثمار لايمكن أن تتكون مالم يتم تلقيح العضو الأنثوي من النبات بما يُنتجه العضو الذكري من النبات ، ولذا جاءت هذه الحقائق منسجمة ومتوافقه مع هذه الاية بحيث تتطابق هذه الحقائق مع هذه الآية بشكل مذهل عجيب فيتجلى لنا وجه جديد من وجوه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ، والذي يتوافق مع كل زمان ومكان ونشعر كأن القرآن ينزل الآن غضاً طرياً . فقد أشار القرآن العظيم إلى أن الثمار تتكون من زوجين الذكر والأنثى قبل أن يكشف هذه الحقيقة علماء هذا العصر بل نجد في الآيات القرآنية ما يؤكد أن معنى " الزوجين " في القرآن هما الذكر والأنثى .

ففي سورة النجم آية ٤٥ يقول المولى سبحانه وتعالى ﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى ﴾ ، وفي سورة القيامة آية ٣٩ يقول المولى سبحانه وتعالى : ﴿ فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ﴾ ، إضافة إلى ذلك نجد في آيات قرآنية أخرى ما يؤكد أن النباتات تتألف من ذكر وأنثى في سورة الحج آية ٥ يقول المولى سبحانه وتعالى : ﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾، وفي سورة الشعراء آية ٧ يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ ، وفي سورة لقمان آية ١٥ يقول العزيز الكريم ﴿ وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ ، وفي سورة ق آية ٧ يقول الحكيم الخبير :﴿ وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ﴾

ولو رجعنا إلى ماقاله علماء اللغة عن معنى الزوج نرى أن المقصود بالزوج الذكر أوالأنثى ، فزوج المرأة بعلها ، وزوج الرجل امرأته[1] ولهذا نلمس أن لفظ زوجين يدل على الزوج الذكر والزوج الأنثى ولقد أورد ابن منظور[2] ما قاله ابن سيده عن معنى الزوجين فقال : " ويدل على أن الزوجين في كلام العرب اثنان قوله تعالى : ﴿ **وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى** ﴾ ، فكل واحد منهما كما ترى زوج ، ذكراً كان أوأنثى " ، كما أضاف إلى ذلك أن لفظ الزوجين قد يدخل في الأشياء غير الحية فعلى سبيل المثال السماء زوج ، والأرض زوج ، والشتاء زوج ، والصيف زوج ، والليل زوج ، والنهار زوج ......

والآن وبعد أن عرفنا أن النباتات تتألف من ذكر وأنثى وأن الثمار لايمكن أن تعقد وتنمو وتنضج مالم يحصل لها التلقيح ، فتعالوا نرى مما تتركب الأعضاء الجنسية الذكرية والأنثوية في النباتات ثم كيف تتكون الثمار بعد تلقيحها حتى يمكننا أن نتابع دور التأبير أو التلقيح في نخيل التمر .

ماهي الأعضاء الجنسية في النباتات :

تعرف الأزهار التي تنتجها النباتات بالأعضاء الجنسية النباتية فكل الأزهار بمختلف أشكالها وألوانها وأحجامها ماهي إلا تراكيب جنسية ينتجها النبات كي يكون بها الثمار – التي نتلذذ بها أو نستخدمها في أغراض مختلفة، كي يحافظ بها على تكاثره وانتشاره .

(١) اسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) ، الصحاح للجوهري (مرجع سابق)، مج١ ، مادة زوج ، ص ٣٢٠ .

(٢) انظر أيضاً لسان العرب لأبن منظور: (مرجع سابق) مج٢، مادة زوج ص ٢٩١.

وتشرح عاده كتب النبات العام(١) تركيب الزهرة ، وتدل على أن جميع الأزهار تتركب من الآتي :

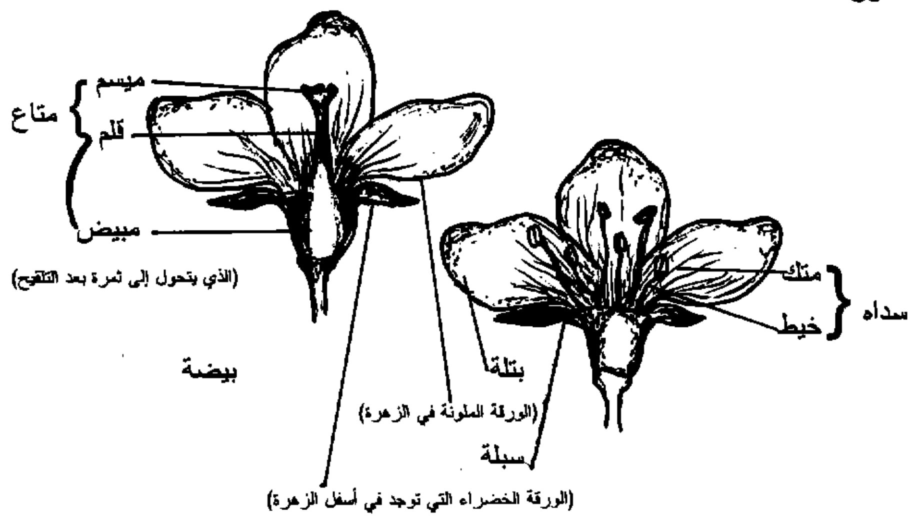
١- **الكأس** : يشمل الكأس الأوراق الخضراء التي توجد عاده في أسفل الزهرة وتسمى هذه الأوراق في علم النبات باسم السبلات (جمع سبله) ووظيفتها حماية الأجزاء الزهرية الأخرى في البرعم الزهري وقد تكون السبلات منفصلة أو ملتحمة ، وهناك أشكال وأنواع مختلفة للكؤوس الزهرية غير أن المجال هنا لايسمح لذكرها .

٢- **التويج** : يشمل التويج تلك الأوراق الملونة التي تتميز بها عادة الزهور وتسمى في علم النبات باسم البتلات (جمع بتله) ، ولونها يجذب الحشرات نحوها ، وقد تكون البتلات منفصلة أو ملتحمة ، كما تأخذ أشكالاً مختلفة (انظر الشكل التوضيحي) . وتختلف الأزهار عن بعضها البعض بما تحتويه من أعضاء جنسيته فالأوراق الخضراء التي تسمى بالكأس والأوراق الملونة المسماه بالتويج تحيط جميعها بالأعضاء الجنسيه في النبات ولذلك تتميز الأزهار إلى فئات ثلاث هي كالتالي :

١- **الأزهار المؤنثة** : وتحتوي هذه الأزهار على العضو الجنسي المؤنث ويسمى في علم النبات بالمتاع الذي يتركب من جزء سفلي منتفخ يسمى المبيض يحتوي على البويضات ينتهي بجزء علوي أنبوبي الشكل يسمى القلم ، وينتهي القلم عادة بجزء منتفخ يتخذ أشكالاً عديده كالمفلطح والريشي والكروي ...... ويطلق عليه اسم الميسم وهو الجزء الذي يستقبل

(١) انظر مثلاً : أحمد مجاهد وزملاؤه ، النبات العام ط٦، القاهرة،مكتبة الأنجلوالمصرية ١٩٩٢م ; شكري إبراهيم سعد ، النباتات الزهرية ، نشأتها ، تطورها ، تصنيفها ، ط٦ ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٤م .

حبوب اللقاح المذكره ، وقد لاتحتوي بعض الأزهار القلم فيوجد عندئذ الميسم مباشرة على المبيض ، والميسم هو المكان في الأزهار المؤنثة والخنثى الذي تهبط عليه عادة النحل وغيرها من الحشرات لإمتصاص رحيق الأزهار ، إذ تتميز المياسم عادة بسطح لزج مما يجذب النحل
والحشرات الأخرى إليه وبهذا تقوم الحشرات بشكل عام في إتمام عملية تلقيح العضو الجنسي الأنثوي في الأزهار المؤنثة فالحشرات تنقل معها حبوب اللقاح التي تلتصق في أرجلها أو في جسمها وعندما تهبط على الميسم ، يستقبل هذا الجزء حبوب اللقاح فتتم عملية الإخصاب بسهولة . (انظر التلقيح عن طريق الحشرات) . وبعد أن يتم الإخصاب تتحول الأزهار إلى ثمار أو بذور .



شكل يوضح تركيب الأعضاء الجنسية في النباتات وهي الأزهار

٢- **الأزهار المذكرة :** وتحتوي هذه الأزهار على مايسمى بالطلع الذي يشتمل على أعضاء التذكير ، ويتكون الطلع من عدد من الخيوط تنتهي عند قمتها بجزء منتفخ يسمى المتك وهو الذي ينتج حبوب اللقاح التي يقوم واحد منها بتلقيح البويضة ، وتسمى الخيوط بما تشمله من متك علمياً بالأسديه (جمع سداه)، وقد تكون الأسدية منفصلة أو ملتحمة بخيوطها ومتوكها سائبة أو العكس ، وعلى أية حال تعتبر حبوب اللقاح كالحيوانات المنوية وفي الإنسان والحيوان غير أن الحيوانات المنويةتستطيع أن تتحرك وتنتقل إلى البويضة لتلقحها في حين أن حبوب اللقاح خالية من أعضاء الحركة فهي لا تستطيع أن تتحرك ولذاهيأ لها المولى من الوسائل المختلفة التي تحملها إلي الأجزاء المستقبلة لها على العضو الجنسي الأنثوي وهي المياسم .

٣- **الأزهار الخنثى** : تحتوى هذه على الأعضاء الجنسية الذكرية والأنثوية معاً مما قد يسمح بتلقيح الزهرة نفسها بنفسها ويسمى عندئذ هذا التلقيح بالتلقيح الذاتي ، ويشير كل من هال ومرغام(١) إلى أن بعض الأزهار مثل الكرنب قد منحها الله أجهزة ذاتية العقم لمنع التلقيح الذاتي مع أن التلقيح الذاتي شائع في بعض النباتات إذاً فالتلقيح الذاتي يتم بانتقال حبوب اللقاح من متك الزهرة إلى ميسم نفس الزهرة أو أي زهرة على نفس النبات، والنباتات التي تحمل الأعضاء الذكرية والأنثوية على نفس النباتات تسمى نباتات أحادية المسكن .

وفي حالة النباتات التي تنتج أزهاراً مذكرة فقط أوأنثى فقط كما هو الحال في نخيل التمور تسمى هذه النباتات بالنباتات ثنائية المسكن ، وتسمى عملية انتقال حبوب اللقاح من الزهر المذكر إلى الزهر المؤنث الموجود على نبات آخر من نفس الجنس و النوع بالتلقيح الخلطي وهو الشائع بين النباتات .

---

(١) W.G.Hale and J.P. Margham و.ج.هال و ج.ب.مرغام .pollination معجم البيولوجيا (معجم أكاديمي متخصص) ترجمة هلا فلاح الخنساء : أكاديميا إنتر ناشيونال ١٩٩٦م.

ماهي وسائل التلقيح

يتم تلقيح الأعضاء الجنسية الأنثوية في الأزهار بعدة طرق تشتمل على الآتي :-

١) عن طريق الرياح

تكون عادة الأزهار هوائية التلقيح غيرملونة ولا روائح لها ولا رحيق حلو يجذب الحشرات نحوها ، وتتميز الأزهار هوائية التلقيح بدقة حجمها وإخضرار لونها وهي عادة ليس لها تويج أي تغيب عنها تلك الأوراق الملونة التي تتميز بها الأزهار عادة . وهذه الأزهار مُهيَّأة بشكل عجيب كي تقوم بالتلقيح بواسطة الهواء، فالأزهار الذكرية نجد فيها المتوك – وهي أعضاء التذكير التي تحتوي على حبوب اللقاح – مرتفعة إلى أعلى بواسطة الخيوط الطويلة التي تجعل المتوك تتلاعب وتتحرك بسهولة كبيرة مع أي نسمة هواء وهذه المتوك تحتوي على أعداد ضخمة من حبوب اللقاح كي تزيد من معدلات التلقيح ، إذ لو كانت أعدادها قليلة لأصبح معدل التلقيح منخفضاً وربما لايتم التلقيح لكثير من الأزهار الأنثوية ، ولأن هبوب الرياح يعمل على نشر حبوب اللقاح في مساحات واسعة . أما الأزهار الأنثوية فهي معدة بشكل عجيب لإستقبال حبوب اللقاح إذ يتميز عضوها الأنثوي بشكل ريشي طويل يبرز خارج الأغلفة المحيطة حتى يصطاد أي حبة لقاح موجودة في الهواء القريب منها .

ويحدث التلقيح الهوائي في كثير من النباتات مثل نباتات الصنوبر والبلوط والنباتات الفصيلة النجيلية وغيرها ، ويكثر حدوث هذا النوع من التلقيح عادة في النباتات التي تنتج أزهاراً بسيطة وحيدة الجنس والتي تتميز بإنتاج كميات هائلة من حبوب اللقاح .

٢) عن طريق الحشرات :

تمتاز عادة الأزهار حشرية التلقيح بكونها ذات ألوان جذابة وتفرز فيها بعض الغدد رحيقاً سكرياً كي تجذب الحشرات نحوها وتمتاز حبوب اللقاح التي تنتجها الأعضاء الذكرية في الأزهار المذكرة حشرية التلقيح بكون سطحها لزجاً أو خشناً مما يسهل عملية إلتصاقها بجسم الحشرات في حين أن الميسم – وهو أول جسم يستقبل حبوب اللقاح في العضو الأنثوي – يمتاز بسطح لزج يسهل عملية إستقبال والتصاق حبوب اللقاح عليه .

٣) التلقيح الصناعي :

يقوم الإنسان بعملية تلقيح بعض النباتات لأغراض إقتصادية ، لذا فهو يقوم بنقل حبوب اللقاح من الأزهار المذكرة لنبات معين إلى الأزهار المؤنثة للنبات نفسه ليضمن بذلك حدوث عملية التلقيح ، وتجرى هذه العملية عادة في النباتات ثنائية المسكن أي التي تتميز بإنتاج الأزهار المذكرة والأزهار المؤنثة على نباتين منفصلين مثل النخيل .

وقد يلجأ الإنسان لعملية التلقيح الصناعي لإنتاج أصناف جديدة مثل القمح والقطن ، إذ أمكن بهذه الطريقة إنتاج قطن ذي محصول وفير ويقاوم آفة القطن أكثر من أسلافه .

أي أنواع التلقيح (التأبير) يصلح لنخيل التمر

تعتبر عملية تلقيح الأزهار المؤنثة في أنثى النخيل في غاية الأهمية ، إذ يتوقف عليها كمية المحصول الناتج ، وتعكس نجاح أو فشل عملية التلقيح

عقد الثمار أو عدم عقدها . ولكون نخيل التمر من النباتات ثنائية المسكن ، لذا فإن كمية المحصول وجودته تتوقف على نجاح عملية التأبير .

ويعرف كثير منا أن نخيل التمر يحتاج عادة للتلقيح الصناعي كي ينتج إنتاجاً جيداً ، ولا يتوقع أحدنا أن هذه النخيل يمكن أن تُلقح بواسطة الهواء أو بواسطة الحشرات إلا أن الدراسات قد دلت على أن التلقيح يمكن أن يحدث طبيعياً بواسطة الرياح أو الحشرات ، غير أن نسبة العقد في هذه الحالة عادة ما تكون منخفضة ، لأن حبوب اللقاح ثقيلة الوزن نسبياً ، كما أن الأزهار المؤنثة البيضاء التي توجد على الشماريخ ، ليس بها من الصفات مايجذب الحشرات إليها ، فهي ليست كالأزهار العادية الملونة بألوان جذابة ، ولاتتميز بالروائح العطرة التي تجذب الحشرات نحوها(١) .

لذا فغالباً مايتم تأبير النخيل صناعياً ، غير أن حاجة النخيل إلى اللقاح تختلف بإختلاف النوع . وقد قسم الشيخ حليت المسلم(٢) النخيل حسب حاجته إلى اللقاح (حبوب اللقاح أو الطلع) إلى ثلاثة أقسام هي كالتالي :-

١) **<u>نخيل شره إلى اللقاح</u>** : وهذه الأنواع تحتاج إلى مسارعة في التأبير من حين ينصدع الغلاف السميك للتركيب * الذي يحتوي على الشماريخ المحمول عليها الأزهار المؤنثة ، أوقبل أن يتصدع بيوم أوساعات وتجري عملية تلقيح هذا النوع من النخيل ويملأ بطلع الفحل (الأزهار المذكرة) ثم يربط برباط خفيف ، ومن أمثلة هذه الأنواع من النخيل تمر الصقعي، والبيض، والربيعة، والشابي، ......

---

(١) نخلة التمر لعاطف إبراهيم وزميله (مرجع سابق) ص ١٣١

(٢) النخيل بين العلم والتجربة لحليت عبدالله المسلم (مرجع سابق) ص ١٩٦-٢٠١

* توجد الأزهار سواء كانت المذكرة أوالمؤنثة داخل تركيب على شكل السيف مستطيل ومستدق من الطرفين، وله غلاف صلب شبيه بالجلد لونه أخضرعليه زغب كالقطيفة له أسماء مختلفة منها الكوز ، الكم ، الجف ، السيف .

٢) نخيل متوسط الرغبة إلى اللقاح :

هناك انواع من النخيل لاتحتاج إلى كمية كبيرة من الطلـع ولكـن يكفي ان تلقح الأزهار المؤنثة بمعدل ثلاثة إلى أربع شماريخ ذكرية إذا كـانت النخلة شابة ولايزيد ارتفاعها عن ستة أمتار ، أما إذا كانت النخلة أطـول من ذلك فيكفيها شمروخان من أغاريض التذكير ومن أمثلة هذا النوع الصفـاوي، والروثانة ، والبرني ، والحلوة ، والسكرة ، والمكتومي ....

٣) نخيل يقنع بالقليل من اللقاح :

هناك أنواع أخرى من النخيل تكتفي بالقليل من اللقاح خاصـة فـي السنين الأولـى مـن عمرهـا ، وإذا تجـاوزت الواحـدة مـن هـذه الأنـواع ثمـان سنوات فهي تكتفي بمـا تنقـله الريـاح والحشـرات الطـائرة إليهـامن حبـوب اللقاح ومن أمثلة هذه الأنواع البرحي ، ودقلة نور ، وصفر الخيل ، والجلي ، والسويداء .

وعلى الرغم من جدوى التلقيح الصناعي لنخيل التمر التي تحتاج إلـى ذلك فربما لايتصور أحدنا أننا يمكن أن نستغني عن هذا النوع من التلقيح لهذه الأنواع غير أن الدراسات والأبحاث دلت على أنـه بالإمكـان عـدم اللجوءإلـى تأبير النخيل صناعياً وفي نفس الوقت يستطيع أن ينتج هذا النخل إنتاجـاً طيبـاً من الرطب والتمر . فكيف يكون ذلك .

كيف تنتج النخلة ثمراً طيباً بدون تأبير :

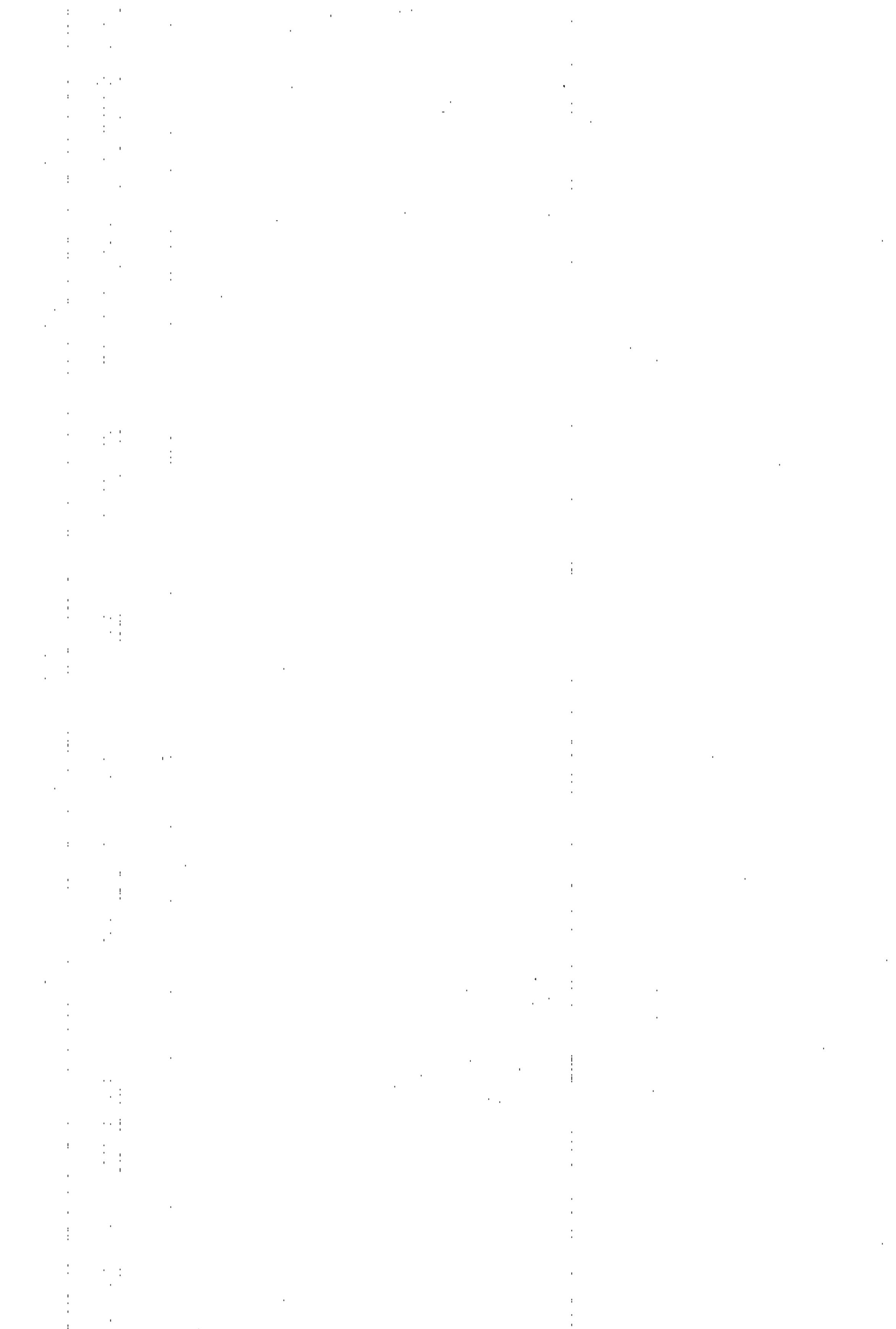
سبق أن مر بنا أن أزهـار النخيـل المذكـرة أوالمؤنثـة لاتتميـز بـاللون الزاهي والألوان الجذابة التي تجذب الحشـرات إليهـا ، كمـا أن حبـوب اللقـاح ثقيلة نسبياً مما يجعل إمكانية تلقيح إنـاث النخيـل بواسـطة الحشـرات والريـاح

منخفضة جداً وخاصة بالنسبة للأنواع الشرهة للقاح ، غير أن الدراسات والأبحاث دلت علىأنه يمكن إتمام تلقيح إناث النخيل بالطرق الطبيعية دون تدخل الإنسان . لقد تضمن كتاب نخلة التمر[1] نتائج الأبحاث والدراسات التي أجراها الباحثون في مجال تلقيح النخيل وقد ذكر الدكتور / عاطف إبراهيم والدكتور محمد خليفي أنه يمكن الإستغناء عن عملية التأبير بزراعة عدد من الفحول (النخيل المذكرة مساوٍ تقريباً لعدد النخيل المؤنثة بنفس البستان ، لكن المؤلفين قد وضحا بأن هذ الأمر ربما يجعل الإستثمار الزراعي بهذه الطريقة غير إقتصادي ، إذ ستخصص نصف المساحة تقريباً لزراعة الفحول التي لاتثمر . ولهذا يثبت علمياً وتطبيقياً أن النخيل يمكنه أن يعقد ثمره بدون تأبير بواسطة الإنسان لكن كل نخلة مؤنثة تحتاج إلى فحلٍ بجوارها يمدها بحبوب اللقاح المذكرة .

ولعل إستمرارالدراسات والأبحاث التطبيقية في هذا المجال قد يسفر عن نتائج أحسن مما يعمل على تقليص عدد الفحول حتى لا تهدرالأرض بزراعة فحول لاتثمر .

ونكون بهذا العرض البسيط قد ألقينا أضواء خاطفة على واقع تأبير أو تلقيح الأزهار المؤنثة في النباتات ، مما يجعلنا نتابع بسهولة كيفية تأبير أو تلقيح النخيل التمور المؤنثة طبيعياً دون تدخل الإنسان .

(١) نخلة التمر لعاطف إبراهيم وزميله (مرجع سابق) ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .



قائمة المراجع

إبراهيم ، عاطف محمد و خليف ، محمد نظيف حجاج ، نخلة التمر ، الإسكندرية : منشأة المعارف (١٩٩٣م) .

ابن حجر، أحمد ابن علي العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط١، القاهرة: دار البيان للتراث ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، مج٥، كتاب الحرث والمزارعة، باب ما كان من أصحاب النبي ﷺ يواسي بعضهم بعضاً في الزراعة والثمر، (باب١٨)، حديث رقم ٢٣٣٩.

ابن حنبل ، الإمام أحمد (١٦٤-٢٤١هـ) مسند الإمام أحمد بن حنبل رقم الأحاديث محمد عبدالسلام عبدالشافي ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .

ابن حنبل ، الإمام أحمد (١٦٤-٢٤١هـ) المسند تحقيق أحمد محمد شاكر ، مصر : دار المعارف ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م .

ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو فداء اسماعيل: تفسير القرآن العظيم، ط٢، بيروت، دار المعرفة ١٤٠٧هـ .

ابن ماجه ، أبو عبدالله يزيد بن محمد القزويني (٢٠٧-٢٧٥هـ) سنن ابن ماجه حققه ورقم أحاديثه محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت: دار الكتب العلمية .

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط١، بيروت: دار صادر ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م، مج٧، مادة شيص.

الأزدي ، أبو داوود الأشعث السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ) سنن أبي داوود تحصين محمد محيى الدين عبدالحميد ، بيروت ، المكتبة العصرية .

أبـو غدة ، عبدالفتـاح الرســول المعلم ﷺ وأساليبــه فــي التعليم ، حلـب / سوريـا :مكتـب المطبوعات الإسلامية ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

باشـا ، حســان شمســي : الأسودان التمـر والمـاء بين القـرآن والسـنة والطـب الحديث ، ط١، جدة : دار المنارة للنشر والتوزيع ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

البار ، محمد علي، هـل هنــاك طـب نبــوي ، ط١ ، جده ، المملكـة العربيـــة السعوديــة " دار السعـودية للنشر والتوزيع " ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

الجوهري ، اسـماعيل بـن حمـاد (ت ٣٩٣ هـ) ، الصحـاح تـاج اللغـة وصحـاح العربيـة ، تحقيق أحمـد عبدالغفورعطـار ، ط٣، بيروت : دار العلـم للملاييـن ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

الدارمــي ، الإمــام الحــافظ عبداللــه بــن عبدالرحمـــن الدارمـــي الســمرقندي (١٨١/٢٥٥هـ). سنن الدارمي ط١، القاهرة : دار الريـــان للتــراث ، بيروت : دار الكتاب العربي١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

الـرازي، فخـر الديـن (٥٤٤-٦٠٤هـ) تفسير الفخرالـرازي المشـتهر بالتفسيـــر الكبيــر ومفـاتيح الغيـب، ط١، بيروت : دار الفكـر للطباعـة والنشـر والتوزيـع ١٤١٠هـ .

الزجـــاج ، أبواسحاق إبراهيم السري (ت ٣١١ هـ) معانـــي القرآن وإعرابه تحقيـــق وشــــرح عبدالجليـل عبـده شـلبي ، ط١، بـيروت: عـــالم الكتـــاب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

زللي ، عبدالبديع حمزه ، لنتأدب مع النبي الأمي ﷺ ط١،١٤١٥هـ .

زللي ، عبدالبديع حمزه : وجوه متنوعة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة (كتاب مطبوع في طريقه للنشر) .

الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (٤٦٧ – ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت : دار المعرفة مج٢ .

سعد، شكري إبراهيم، النباتات الزهرية، نشأتها، تطورها، تصنيفها، ط٦، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٤م.

عاشور، محمد الطاهر ابن تفسير التحرير والتنوير، تونس : الدار لتونسية للنشر ، ١٩٨٤م .

المباركفوري ، الإمام الحافظ أبي العلا محمد بن عبدالرحمن عبدالرحيم (١٢٨٣– ١٣٥٣هـ) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي.

مجاهد ، أحمد وزملاؤه ، النبات العام ط٦،القاهرة،مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٢م ; شكري إبراهيم سعد ، النباتات الزهرية ، نشأتها، تطورها، تصنيفها، ط٦ ، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٤م.

المخللاتي، جلال خليل، التغذية وصحة الإنسان، ط٢، الرياض، دار الشواف للنشر والتوزيع، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

المسلم ، حليت بن عبدالله : النخيل بين العلم والتجربة ، ط١ .

النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي: القاهرة، دار الحديث، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ج٦، كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد.

النسيمي، محمود ناظم ، الطب النبوي والعلم الحديث، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، مج٣، ص ٢٩٢-٢٩٧.

النووي، الإمام محي الدين يحي ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ط١، مكة المكرمه : المكتبة الفيصليه، ١٣٤٧هـ / ١٩٢٩م .

هال ، و.ج. و مرغام ، ج.ب Hale W.G. and Margham J.P. معجم البيولوجيا (معجم أكاديمي متخصص) ترجمة هلا فلاح الخنساء : أكاديما إنتر ناشيونال ١٩٩٦م.

اليحصبي ، أبو الفضل عياض (ت٥٤٤هـ) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، بيروت، دارالكتب العلمية .

فهرس أسماء الكتب

تابع فهرس أسماء الكتب الصفحة

تعريفات مختصرة لبعض الألفاظ التي وردت في الكتاب

أحادي المسكن : انظر نباتات ثنائية المسكن. ٩٤*

اريكــــه : الأريكة سرير منجّد مُزيّن في فيهٍ أو بيت ، والجمع الأرائك. ٢٥-٢٦

بتلــــه : وجمعها بتلات وهي الأوراق التي تظهر بألوان جميلة وجذابة في الأزهار الملونة كي تجذب الحشرات إليها وهي تحيط بالأعضاء الجنسية الأنثوية أو الذكر ية في الأزهار كي تحميها من المؤثرات الخارجية. ٩٢،٩٣

تأبيـــر : عملية تلقيح إناث النخيل بالطلع (حبوب اللقاح) المنقول من ذكور النخيل، وتسمى الفحول وهذه العملية تساعد في إنعقاد التمر وصلاحه. ٨٥-٨٦

تذكيـــر : المعنى نفسه لتأبير النخيل والنباتات الأخرى. ٨٥

تلقيــح : المعنى نفسه لتأبير النخيل والنباتات ، وهذا اللفظ من الشائع استخدامه أيضاً في حالة إخصاب بويضات الكائنات الحيوانية بالحويانات المنوية. ٨٥

تويــج : يشمل التويج الأوراق (البتلات) التي تحيط مباشرة بالأعضاء الجنسية في الأزهار الملونة. ٩٢-٩٨

ثمـــرة : هي واحدة الثمر والثمرات ، وجمع الثمر ثمار ، ويقال أثمر الشجر أي طلع ثمره، وتعرف الثمرة في علم النبات بأنها المبيض الناضج، إن أصل جميع الثمار الأزهار بعد اخصابها بالطلع أو بحبوب اللقاح المذكره ، فبعد الإخصاب تبدأ تحورات في الأعضاء الجنسية الأنثوية في الزهرة ، فيؤدي ذلك إلى نمو البويضات ، والبذور والثمار وفي نفس الوقت تبدأ الأعضاء الأخرى في الزهرة في الذبول والسقوط عند تكوين الثمرة ، فتسقط عادة الأوراق الملونة المسماة البتلات والأوراق الخضراء المسماة سبلات ، ولكن تشذ ثمار بعض النباتات عن هذه القاعدة ، فمثلاً ثمرة الباذنجان يبقى الكأس (السبلات) متصلاً بعد تكوين الثمرة ، وفي ثمرة القرع تستديم البتلات ، أما في ثمرة الرمان فتستديم الأسدية ، وتبقى متصلة بالثمرة بعد تكوينها. ٨٦-٨٩، ٩١

* الرقم يدل على رقم الصفحة التي ذكر فيها اللفظ.

ثنائية المسكن : انظر نباتات. ٩٤

حبوب اللقاح : هي الحبوب التي تنتجها الأعضاء الذكرية في النبات لإخصاب العضو الجنسي في النبات ، إذ يتم إخصاب البويضة بحبة لقاح واحدة وهي تقابل النطاف أو الحيوانات المنوية في الكائنات الحيوانية. ٩٣-٩٧

حمض النيكوتينك : هو فيتامين ب٣ ، يتواجد في التمر بكمية ملحوظة ، ويؤدي نقص هذا الفيتامين إلى أمراض معينة ، ويفيد هذا الفيتامين في علاج إرتفاع دهون الدم. ٤٦

زوج : الزوج الذكر أو الأنثى ، فزوج المرأة بعلها ، وزوج الرجل إمرأته. ٨٦-٩٠

سبلــــه : وجمعها سبلات وهي الأوراق الخضراء الصغيرة التي تحيط بالزهرة من أسفلها لحماية الأعضاء الجنسية. ٩٢-٩٣

ســــداه : الأسدية جمع سداه وهي الخيوط الموجودة في الأزهار والتي تحمل في نهايتها المتوك وهي الأعضاء المذكرة التي تنتج حبوب اللقاح التي تلقح بويضة الزهرة المؤنثة لتكون الثمرة أو البذرة. ٩٣-٩٤

شمــروخ : وجمعها شماريخ ، والشمروخ وهو المحور الذي يحمل أزهار التمر ويسمى في علم النبات النورة. ٩٣،٩٧-٩٨

شيـــص : ردئ التمر وواحداته شيصه وشيصاء. ١٦

طلــــع : هو عضو التذكير في النبات ، وبالذات في الأزهار ويتركب الطلع من عدد من الأسدية (انظر سداه). ٩٤

لقــــاح : اللقاح ما تلقح به النخلة من الطلع. ٩٧-٩٨

قلم الزهرة : هو الجزء الذي يعلو مبيض الزهرة المؤنثه وينتهي في قمته بالميسم الذي يستقبل حبوب اللقاح المذكرة بحيث يتم التلقيح فتتكون بعدئذ الندرة أو التمرة. ٩٢-٩٣

متــــاع : وهو عضو التأنيث في النبات وبالذات في الزهرة ويتكون من مبيض وقلم وميسم يحيط بهذا التركيب الأوراق الملونة في الزهرة والتي تسمى بتلات وأسفلها الأوراق الخضراء المسماة سبلات. ٩٢-٩٣

متـــك : هو العضو المذكر في الزهرة والذي يحمل حبوب اللقاح المذكرة. ٩٣-٩٤

محاقــل : جمع محقل والمحاقل المزارع،والحقل الزرع، وقيل مادام أخضر، والمحاقلة المزارعة بجزء مما يخرج وذكر الجوهري في الصحاح لمحاقله هي بيع الزرع وهو في سنبله بالبُرّ ، وقد نهي عنه. ٢٩

نباتات ثنائية المسكن : هي النباتات التي تتميز إلى ذكور وإناث وفي علم النبات هي النباتات التي تحمل الأعضاء الذكرية (الأزهار المذكرة) على نبات في حين أنها تحمل الأعضاء المؤنثة (الأزهار المؤنثة) على نبات آخر كما هو الحال في النخيل . أما النباتات التي تحمل الأعضاء الذكرية والمؤنثة في نبات واحد تسمى نباتات أحادية المسكن. ٩٤،٩٦-٩٧

النـــورة : تجمع الأزهار واحتشادها على محور يحملها ، والنورات توجد في صور عديدة وهيئات مختلفة ، وشمروخ النخلة هو نورة من النورات. ٩٧-٩٨

نضّـــر : ذكر الجوهري في الصحاح نضَّر الله وجهه بالتشديد ، وأنْضَرَ الله وجهه بمعنىً ، وإذا قلت نضَّر الله إمْرَأ تعني نَعَّمَهُ ، وفي الحديث " **نَضَّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها** " . وقال المباركفودي في تحفة الأحوزي النضره الحسن والرونق يتعدى ولا يتعدى ومعنى نضَّر الله إمرأ ، أي خصه الله بالبهجة والسرور لما رزق بعلمه ومعرفته من القدر والمنزلة بين الناس في الدنيا ، ونعمه في الآخرة حتى يرى عليه رونق الرخاء والنعمة. ١٥،٣٧

كـــأس : يشمل الكأس الأوراق الصغيرة الخضراء (سبلات) التي توجد في أسفل الزهرة وقد تبقى بعد إخصاب الزهرة كما في ثمرة الباذنجان أو تسقط. ٩٢-٩٣

فهرس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي وردت في الكتاب *

حرف الألف

* رتبت الكلمات حسب حروف الهجاء كما جاء لفظها في القرآن والحديث ، وتدل الأرقام التي بجانبها على رقم الصفحات التي وردت فيها هذه الكلمات .

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطا

حرف الظا

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء



المدينة المنورة ت: ٨٣٦٨٣٨٢